

# الخطر الأكبر على العالم العربي

وكيف يستعيد العرب مكانتهم

بقلم

أبو الحسن الندوي





**الخطر الأكبر على العالم العربي**

**وكيف يستمد العرب مكانتهم**

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

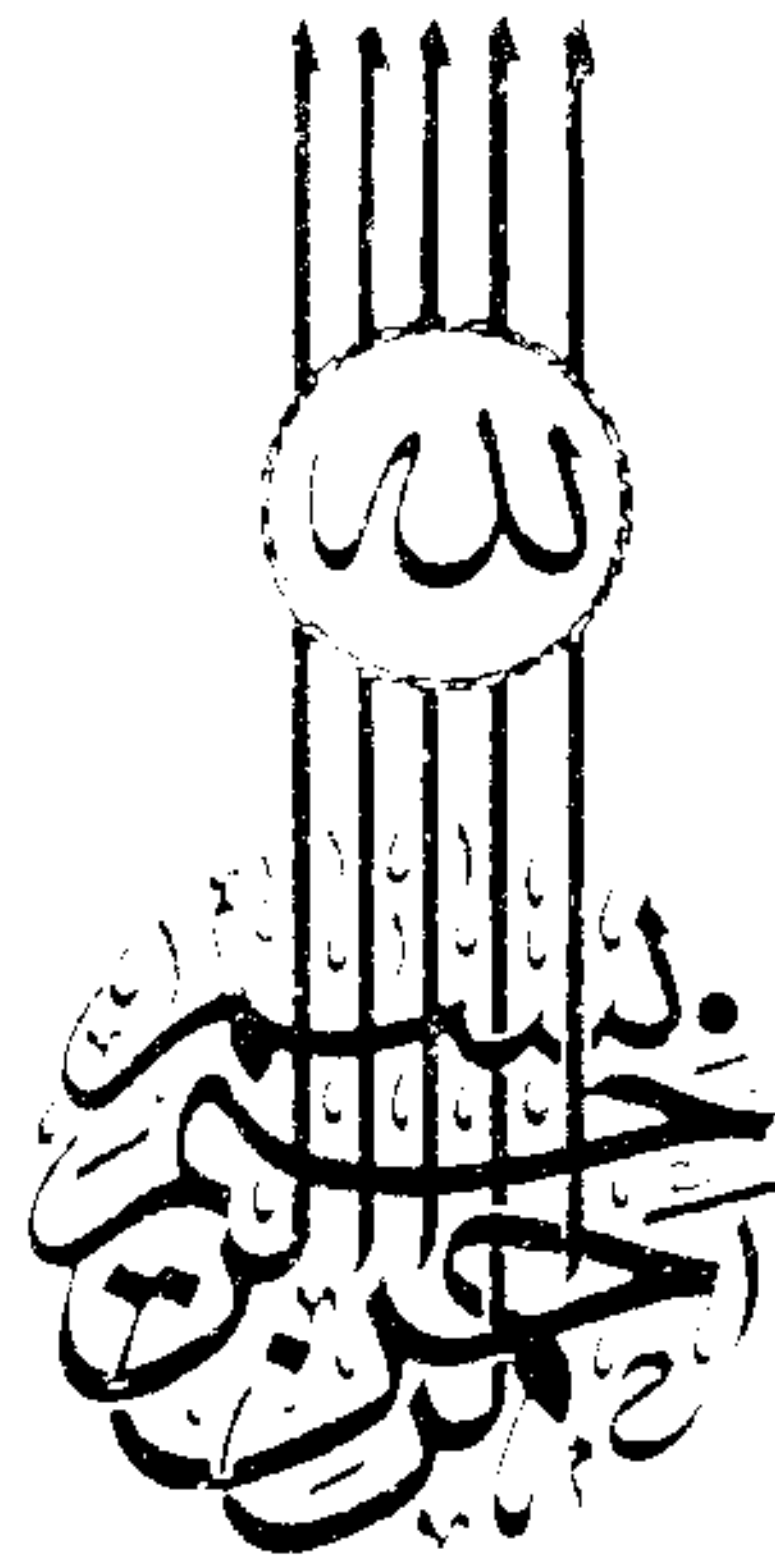


الإدارة: ٧ ش السراي - أول النيل - ت. فاكس: ٠١٩٢٥٠٠٠٠  
الفرع: حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت. ٠١٩٢٥٠٠٠٠

# **الخطر الأكبر على العالم العربي**

## **وكيف يستعيد العرب مكانتهم**

**بقلم**  
**أبو الحسن الندوي**



## مقدمة

بقلم: د / عبد الحلیم عویس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد :

فعندما انفرط عقد المسلمين وأصبحوا شراذم متفرقة ودولا متنازعة وعقائد متفرقة، بعد أن كانوا أمة واحدة على قلب واحد وعقل واحد يتجهون قولا وعملا إلى قبلة واحدة، وينطلقون عقيدة وشريعة من مصدر واحد هو كتاب الله وسنة رسوله، ويهدفون إلى غاية واحدة هي تعمير الأرض باسم الله وتحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله...

عندما انفرط عقد المسلمين، وتقطعت بهم الأنساب الصحيحة إلى الدين الصحيح فأصبحوا في الأرض كاللقطاء يبحثون عن أنساب غير شريفة، فبعضهم يتجه إلى الوطنية يدعو قومه إلى الانتساب إليها، وبعضهم يتجه إلى القومية - عربية أو طورانية تركية أو فارسية أو بربرية - يدعو قومه إلى الانتساب إليها، وبعضهم يبحث في أعماق تاريخ قومه عن حضارات وثنية مندثرة كالآشورية والطورانية والفرعونية فدعا إلى الانتساب إليها... وبعضهم جاء صريحا واضحا دون لف أو دوران فدعا إلى الانتساب إلى الحضارة المتفوقة ماديا الغالبة عصريا وهي حضارة أوروبا، على أساس أن الناس

عبيد لمن غلب، فلاضير- وأوروبا هي الغالبة- أن نكون عبيداً لها، فربما تعترف بأدميتنا يوماً، وربما تسمح لنا بالحياة، حتى ولو كانت هذه الحياة ذليلة كئيبة!!

وقد وجد كل داع إلى خلع الانتساب الشريف للإسلام، والانتساب إلى أرحام أخرى - تبريرات عقلية ومنطقية ومنهجية وعلمية وتاريخية للدفاع عن رأيه - وبيان أن رأيه هو الأصلح والأولى من الانتساب لهذا الإسلام الذي سيفرض علينا انتسابنا إليه مغارم كثيرة نحن في غنى عنها، ولاسيما ونحن حريصون على أن نعيش حياتنا مترعة بالسعادة والرفاهية على أحدث وسائل الرفاهية والحداثة المعاصرة!!

وكانت أوروبا بفكرها الزاحف تغذي هذا كله وتدعم هؤلاء جميعاً لأنها تعرف تماماً أن أي إبعاد عن الإسلام هو تمزيق للأمة وتشتيت لجهودها وتبديد لطاقتها في غير طائل، وهي تعرف أن الفرعانية والآشورية والعروبية والفارسية والبربرية واللمنية وكل هذه النزعات لن تفيد أصحابها، بل ستحولهم إلى أمم متطاحنة متشرذمة بينما تتجه هي إلى التوحد الاقتصادي والحضاري والفكري، وتدعم -مجتمعةً- الكنيسة العالمية بعد أن تفاقمت -عامدة- حتى عن الخلافات العقدية التي تفصل

بين البروتستانت والكاثوليك والأرثوذكس... وبينما  
يجرى هذا فى معسكرها... يجرى الأمر -بتأثيرها-  
على العكس فى معسكرنا الإسلامى، وتبذل كل  
الجهود من أجل طرح (الإسلام دين الوحدة  
والتوحيد) وتبديد الجهود وبعثرة الطاقات تحت  
رايات متنازلة تافهة لاتغنى فتىلاً وليس لها فى  
نهاية الأمر أى مردود أو تأثير اللهم إلا تكريس  
الخلاقات وتعميق الصراعات وتحقيق الفراغين  
العقدى والفكرى تمهيداً لملئه بالأفكار التنصيرية  
والتغريبية واللا دينية..

\* \* \*

وجاء حزب البعث ليكون بديلاً من هذه البدائل  
المطروحة لصرف الأمة عن الإسلام دين الوحدة  
والتوحيد.. وقد تزعم هذا الحزب النصارى العرب  
واللا دينيون العرب وعلى رأسهم ميشيل عفلق الذى  
تثبت الوثائق عميق صلته بالتنصير العالمى واليهودية  
العالمية.

وفى كتابه (نضال البعث) قدم ميشيل مشروع  
دستور تنص المادة الثالثة منه على أن حزب البعث  
العربى الاشتراكى (قومى) يؤمن بأن (القومية  
العربية) حقيقة حية خالدة..

وتنص المادة الرابعة منه على أن حزب البعث  
العربى الاشتراكى (اشتراكى) يؤمن بأن الاشتراكية



ضرورة نابعة من صميم (القومية العربية) .

وتتخص المادة الخامسة على أن حزب البعث العربي الاشتراكي (شعبي) يؤمن بأن السيادة للشعب، وأنه وحده مصدر كل سلطة وقيادة.

وتتخص المادة السادسة على أن حزب البعث (انقلابي) يؤمن بأن أهدافه الرئيسية لا يمكن أن تتم الا عن طريق الانقلاب.

وتتخص المادة ( ١٥ ) على أن الرابطة القومية هي (الرابطة الوحيدة) القائمة في الدول العربية (...). وتكافح سائر العصبية المذهبية والطائفية والقبلية.

وتتخص الفقرة الرابعة (البند الرابع) من المادة (٤١) من الدستور البعثي العفلقى على ضرورة فسح المجال (في حدود الفكرة القومية العربية) لتأسيس النوادي والجمعيات والأحزاب ومنظمات الشباب.

- وهكذا أصّل (ميشيل) أستاذ البعثيين إبعاد الإسلام (دستوريا) وصدق له مسلمون ونصارى ممن رضوا الدخول في نحلة البعث العفلقى اللاديني الاشتراكي القومي!!

- وفي كتابه (في سبيل البعث) قام ميشيل عفلق بتوضيح بعض المبادئ الأساسية التي يقوم عليها



البناء الفكرى للحزب .

فبالنسبة للدين ؛ يقول ميشيل عفلق : (باستطاعة المرء أن يربح من غير خسارة أن يصعد إلى السماء وقدماه لاصقتان بالأرض ، إذا صح ذلك ، فلأن هذه السماء التى يقصدونها صغيرة إلى حد أن المرء يتناولها وهو قاعد... كذبة رائفة نربحها بخدع القمار) .

وهو رأى فيه من السخرية بالدين الكثير!! .. كما نرى!!

ويقول ميشيل رافضا أن يكون الدين بديلا صالحا للقومية .. (أنجعل قوميتنا وهى أساس حياتنا نظرية من النظريات فنتركها عرضة لتقلبات المنطق والذوق والهوى ، فننادى بها اليوم ، ونؤثر عليها الأممية والشيوعية غدا ، ونعتنق الدعوة الدينية بعد غد!!)

وبالنسبة لعلاقة العروبة بالإسلام يرفض ميشيل (ارتباط العروبة بالإسلام) ويقول : (إن القومية تتعارض مع الطابع العالمى للإسلام ، وقد تطور هذا الاتجاه الدينى تطورا متزايدا . نحو مواقف أكثر سلبية من العروبة وباتجاه الفصل بينهما) .

\* \* \*

وفى تصورنا أن ميشيل عفلق (الصليبى) ليس



ملوماً ، وإنما الملووم- دنيا وأخرة- هم هؤلاء الذين جعلوه أستاذهم ومفكرهم الروحي والعقلي وصانع وجدانهم...

ولللأسف الشديد فقد أوقع حزب البعث الأمة العربية فى عدد من الكوارث والنكبات بفضل انسلاخه عن الإسلام.. ومن كوارثه أنه أدخل الأمة العربية فى عدد من الحروب المدمرة المهلكة التى كلفت العرب والمسلمين مئات المليارات التى كانت فى حاجة ماسة إليها ، كما كبدها عدداً من ملايين القتلى والموتى ، وعمق الأحقاد والخلافات سواء بين العرب بعضهم بعضاً أم بين العرب والمسلمين فى إيران .

\* \* \*

وقبل غزو العراق بقيادة الرئيس البعثى صدام حسين بيومين فقط تقدم النظام العراقى بمشروع الدستور الذى ووفق عليه... ويعكس هذا الدستور الطابع العفلقى البعثى القومى الاشتراكى ولمزيد من التوضيح نذكر أن المادة العاشرة من الدستور تنص على أن الاشتراكية أساس من أسس النظام السياسى العراقى .

وقد تحاشى الدستور كلمة الإسلام فى المواطن التى توجب ذكرها كما تحاشى كلمة الله.. فالمادة الثالثة والعشرون تتحدث عن الأسرة والقيم والمفاهيم



السامية والقيم الأصيلة والعريقة .

والمادة الخامسة والعشرون تتحدث عن الاستشهاد فى سبيل الوطن والأمة ومبادئ الشعب لتعزيز مضامينه الوطنية والقومية والاجتماعية والأخلاقية .

\* \* \*

ومن العجب أن يصدق بعض الناس أيام فتنة الخليج أن يكون صدام حسين وحزب البعث العراقى الاشتراكى داعية للإسلام مقاوما للصليبية . مع أن حزب البعث حزب أنشأته الصليبية بقيادة ميشيل عفلق الذى قيل له فى الفاتيكان فى مقام تكريمه : «لقد حققت ما لم تحققه الجيوش الصليبية» .

- ومن العجيب أيضا ألا يدرك المسلمون حقيقة فتنة أزمة الخليج وهجوم العراق غدرا على الكويت ، وما نجم عن ذلك من تمزيق للصفين العربى والإسلامى مما يصح أن نطلق عليه بحق الفتنة الكبرى . . . تلك الفتنة التى خطط لها أعداء الإسلام بذكاء شديد وتعاون معهم فيها حزب البعث وصدام حسين حتى جروا الأمة -مرغمة- إلى امتحان عسير . وكما أوضح سماحة أستاذنا الشيخ أبو الحسن الندوى -أطال الله عمره- فإن حزب البعث بمبادئه الهدامة وصدام حسين الذى قضى على شعب العراق وبدد طاقة الأمة العربية من أكبر الأخطار التى يجب أن يعي



المسلمون حقيقتها، وأن يواجهوها بكل الطرق  
والوسائل.. وأن لا يخذعوا بأكاذيبها ودعاياتها..  
فالثوابت هي الأصل.. وهي المصباح الذي نبصر به..  
وهي الميزان الذي نزن به أعمال الناس وأقوالهم.

**د / عبد الحلیم عویس**



## تقديم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فكل حركة للقومية قامت في العالم الإسلامي واتخذت فلسفة لنظامها، وتطورت إلى عقيدة بالتزييف والإكراه، كانت تحديا للإسلام، وحاولت أن تسيطر على تلك المساحة للحياة الانسانية التي كانت خاضعة لحكم الإسلام وسيادته، واشتملت هذه الحركة على خليط من العقائد، والأخلاق، والعواطف، ومشاعر الحب والكراهية، والولاء، وعدم الولاء، ورباطة الجأش، والحماس، وبعض من العناصر والأجزاء التي تشتمل عليها الأديان السماوية وتعتبرها جزءا منها، ولأجل ذلك كانت كل حركة من هذه الحركات التي لها هذا الشأن والاحتواء، والمضمونات، والتأثير، موضع حذر، بل موضع خطر لدى المؤمنين بالدين السماوي الأخير، والدعاة إليه عن بصيرة وإيمان، فبادروا إلى محاربتها، باعتبارها منافسة لهم، لأن نشوءها وانتشارها يحملان في أعقابهما أخطارا وبيلة تعمل على تفكيك الوحدة الإسلامية، ونشر الإلحاد والضلال، ومن ثم كانت مقاومتها وكبح جماحها، الواجب الأول في نظر هذا الصف المؤمن.

وتستوى في هذا الأمر حركات القومية والوطنية التي نشأت في تركيا، وإيران، وكردستان،



وأفغانستان، وتصدى الغيارى على الدين،  
والراسخون فى العلم، وأصحاب العقيدة السليمة  
فى هذه البلاد كلها، لمواجهة تلك الحركات، وكان  
شعارهم تحطيم هذه الأصنام العنصرية والثقافة  
جميعا وإعلان "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا  
ربكم فاعبدون" (١).

لكن القومية العربية تختلف فى طبيعتها عن  
جميع هذه الحركات، لأن الأتراك والاييرانيين والأكراد  
والأفغان، كانوا جزءا من الملة الإسلامية، فكان  
انحرافهم انحراف ملة، أما العرب فلم يكونوا ملة  
فحسب، وإنما كانوا منبع الدعوة الإسلامية، وحملة  
لوائها الأولين وروادها السابقين، وكان بلدهم المنبع  
الأول للإسلام، ومأواه وملجأه الأخير، فكان قبولهم  
لدعوة القومية وانحصارهم فى القالب المحدود  
للقومية والعروبة، أو احتضانهم لدعوة البعث  
العربى القومية، بدلا من كونهم حملة الدعوة  
الإسلامية العالمية، حادثة تاريخية، فإذا كان  
انحراف الأمم الأخرى، انحرافا لها وحدها، كان  
انحراف العرب تحريفا، لذلك فإن القلق والهم  
اللذين يساوران النفوس والحذر الذى يطير النوم  
عن عيون المحبين للدين والعاملين له والمهتمين  
به، لا يستغرب ولا يثير الدهشة والتساؤل، بل  
بالعكس عدم الاضطراب على هذا الحادث الأليم،  
يدل على عدم الشعور بضخامته ووخامة نتائجه،

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٣.



الأمر الذى أقض مضاجع المعنيين بالدين،  
ومستقبله .

وصدق الشاعر الأندلسى العربى :  
لمثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان فى القلب إسلام و إيمان

لماذا لم تشعر الدوائر الدينية بأهمية هذه  
الحادثة، ولماذا لم يضطرب لها أصحابها، وهم  
يحملون حقا حساسية مرهفة فى كل أمر له صلة  
بالدين والعقيدة فلا يحتملون أدنى انحراف أو  
عدول، فضلا عن ضلال فى أمر الدين، فكيف  
استساغوا هذا الضلال المبين، وأغمضوا بصرهم،  
بل وعلى العكس تجاوز بعضهم إلى الإعراب عن  
تقديرهم لزعماء هذه الانحرافات الضالة، ونوهوا  
بأعمالهم ونسبوا إليهم البطولة؟!!

إن هناك سببين لهذا الموقف:

أولهما: عدم معرفة هؤلاء الناس، لحقيقة الأفكار  
والعواطف لدعاة القومية العربية وعجزهم عن  
إدراكها، لأن عدداً قليلا من العلماء وحملة الدين هو  
الذى يتمكن من دراسة منشورات القومية العربية  
الموثوق بها، وتتاح لهم فرصة السماع والقراءة  
للأحاديث والبيانات والتقارير الصحفية لقادة تلك  
الحركة وزعمائها، أما الفئة التى تكتفى بالتصفح  
للجرائد والمجلات الصادرة من الدول التى تعبر عن



هذه الأفكار والاتجاهات، فتقتصر معرفة هذه الفئة من الناس على معلومات سطحية طافحة، وتعتمد على بيانات سياسية في أغلب الأحوال. فإذا كان رجال هذه الفئة من الناس قاصرون في اتخاذ آراء سديدة أو مواقف إيجابية، فلا يقلقون ولا يندمرون ولا يشمئزون وإن كانت قلوبهم سقيمة بالعمرة الإسلامية والحمية الدينية فلا عناية في ذلك فإنهم لا يدركون مدى خطورة الدعوة للتومية العربية، وتوغلها في النفوس، وتأثيرها وأبعادها، وأهدافها وغاياتها، وإلى أي مدى سرت فيها عدوى الإلحاد واللا دينية ونفاقمت، وما هي انعكاسات هذه الدعوة على قلوب الشباب والمثقفين الذين تأثروا بها في الشرق الأوسط وفتنوا بقادتها وزعمائها، وتأثروا بأهدافهم التي يعبرون عنها ويجهرون بها "وما تخفى صدورهم أكبر".

والسبب الثاني: أن النظر إلى أي دولة من الدول الغربية أو الأوروبية بنظرة ازدهاء، والحديث بلهجة التحدي لها وتهديدها وإدانته، أو إبداء نية المجابهة مع إسرائيل، والإعلان ببدء حركة لتحرير فلسطين، وإن كان باللسان فحسب، أو إظهار الصمود والتصدي في البيانات، يعد بطولية وجرأة يفتر بها جميع السيئات ويتغاضى عن كل عمل سابق لهم، وذلك لماضى هذه الدول الأوروبية المظلم وحاضرها الظلوم في مواقفها من دول العالم الإسلامي، وغياب أي إجراء جدي، من قبل أي بلد إسلامي وعربي إزاء إسرائيل خلال السنوات العديدة



الماضية، فتحمل هذه البيانات على صرف النظر عن كل عيب وزيف للزعماء العرب القوميين، وأعضاء حزب البعث العربى الاشتراكى الملحد، وأى زعيم آخر من الزعماء العرب، وحتى على الإغماض عن استغنائهم عن الإسلام، ومحاولة قطع صلة الأمة العربية والدول العربية عن الإسلام وإعادتها إلى الجاهلية الأولى، بتخطيط دقيق، وعدم المبالاة بالعقائد الإسلامية والفرائض الدينية، وأكثر من ذلك الاستهانة بها، وازدراؤها، وبمثل هذه البطولات الوهمية، المدججة بالإعلام الكاذب، ينصرف المجدوعون من البسطاء عن عيوب هؤلاء الزعماء المنتفضين زوراً، ليس ذلك فحسب بل تحملهم هذه البيانات على تقديس هؤلاء الزعماء ووضعهم فى مصاف الأبطال والمنقذين للمسلمين والعرب، ثم لا يقع فى هذه المغالطة الأثيمة عامة الناس وحدهم بل يقع فيها الخاصة من الزعماء والقادة، ويستعد بعضهم للتصفيق لنفسه، ومن خلفه قادة الوهم، ورافعو شارات التأييد والإشادة، ويتعرضون بالسوء واللائمة لمن له معرفة بحقيقة الأمور ويدرك حقيقة هؤلاء الزعماء القوميين البعثيين وماضيهم وحاضرهم، وما يضمرونه من نيات سيئة وما يكيدون للأمة العربية بخبث ومدى ارتباطهم بالمؤامرات الصليبية وما يحلمونه من قطع صلة المسلمين والعرب عن الإسلام، وربطهم بالجاهلية القديمة، والقومية العربية.

إن الناقدین لمثل هذه الحركات وأصحابها

ينتمون إلى الفئة التي كان شعارها الدائم، أن النقص الديني والتحريف في الدين، هما الخطر الأكبر على أمتنا، فما معنى الانتصارات المادية إذا جاءت من هذا السبيل، فاذا تحقق انتصار عظيم، أو سعة في الحكم بمرزأة في الدين، أو إلحاق ضرر به أو انتقاص منه، كان هذا الانتصار المادي في نظر هذه الفئة هزيمة بل أشنع من هزيمة.

إن تاريخ فقهاء الأمة وقادة الدين من أصحاب العزيمة، حافل بأمثلة هذه النظرة الدينية، وإلى هذه النظرة الدينية أو التقييم الديني يرجع فضل صيانة هذا الدين من التحريف، وإلا كان مصيره كمصير المسيحية من المسخ والتحريف، وقد أمكن الاحتفاظ بهذا الدين صحيحاً وبالأمة الإسلامية حية، بفضل الجهود المخلصة لعلماء الحق، الذين عملوا كما أمرهم القرآن الكريم «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط» (١).

لقد أتاحت للكاتب بفضل الله تعالى وتيسيره فرصة التعايش مع العرب - وهم معدن الإسلام ورصيده، وحملة الدعوة الإسلامية الأولون إلى العالم، ويجب أن يكونوا متحمسين للإسلام أكثر من غيرهم ويكونوا قدوة للعالم - وسنحت له الزيارات المتكررة إلى الدول العربية والاطلاع على نشاطاتها العلمية والسياسية ومراكزها الثقافية والدينية،

(١) سورة المائدة الآية (٨)



والعضوية في بعضها، والتعرف على رجال من مختلف الطبقات، والقرب من مناهجهم العملية واتجاهاتهم الفكرية، وتبادل وجهات النظر معهم والتباحث في شتى الأمور، وسنحت له بذلك فرصة المطالعة المباشرة للخطط والمؤامرات والمواد العلمية الرامية إلى قطع الصلة بالإسلام، وظل هذا الموضوع شغلا شاغلا له وهماً يلفت نظره ويسترعى اهتمامه بصفة خاصة مدة طويلة.

إن ما يشاهد اليوم من حماس وثورة يعتملان في نفوس المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ولا سيما الشباب منهم والانفعال الشديد لديهم، والافتتان بقيادة الزعيم البعثي الاشتراكي صدام حسين الطائشة وتحدياته وتهديداته، والتظاهر بالجرأة والصمود، لا يرجع إلى دراسة أو تفكير، أو مطالعة، وإنما هو بمثابة "زوبعة في فنجان" أو غلى كغلى المرجل، فشعرت بمسئوليتي بحكم معرفتي ودراستي وواجبي الديني - نظراً لهذا الهياج الذي يسود اليوم- أن أقدم ملخصاً لبعض المقالات والبحوث، والمطالعة التاريخية التي تشتمل على استعراض البواعث والدواعي لهذه الحركات، وخلفياتها، وما يخشى من نتائجها (إذا تحققت لا

قدر الله ) إنها دراسة مخلصه أمينه ورجائي أنها  
ستنال الاهتمام والتقدير اللائقين، وأن يعتبر بها من  
كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وما توفيقي إلا بالله

**أبو الحسن علي الحسنى الندوى**

١٥ / رجب ١٤١١ هـ

١ / فبراير ١٩٩١ م



## **القسم الأول**

### **الخطر الأكبر على العالم العربي**





## حكمة الله في اختيار العرب لحمل الرسالة

اختار الله العرب للدعوة الإسلامية والقيادة الأولى لها، من بين الأمم الأخرى في العالم بحكمته وإرادته.. ومن قبل قال عن نبيِّ إسرائيل "ولقد اخترناهم على علم على العالمين" (١).

وقال عن النبي العربي صلى الله عليه وسلم: "الله أعلم حيث يجعل رسالته" (٢).

وقد امتاز العرب بخصائص تفرّدوا بها بين الأمم، وتجلت حكمة الله في اختيارهم للدعوة إلى الإسلام (٣).

وأثبت العرب الأولون حكمة هذا الاختيار بفهمهم العميق لطبيعة الإسلام، وإساغتهم الكاملة لتعاليمه، وتجردهم النادر من كل ما ينافيها، وحماستهم المنقطعة النظير- في نشر الإسلام، وتفانيهم الغريب في إعلاء كلمته، ورفع شأنه، وأمانتهم الدقيقة في حفظ روحه ونفسيته، ونجاحهم المدهش في تسخير القلوب والعقول لقبول عقيدته وثقافته.

(١) سورة الدخان الآية ٣٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٣.

(٣) راجع (السيرة النبوية) للمؤلف (لماذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب؟) ص ٤٢-٥٥. الطبعة الثامنة، طبع دار الشروق جدة.

عقد الله بين العرب والإسلام للأبد ، وربط مصير أحدهما بالآخر ، فلا عز للعرب إلا بالإسلام ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبه وحملوا مشعله ، وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدس بين العرب والإسلام ، فجعل جزيرة العرب مركز الإسلام الدائم وعاصمته الخالدة ، وحرص على سلامة هذا المركز ، وهدوئه وشدة تمسكه بالإسلام . لأن العاصمة يجب أن تكون بعيدة عن كل تشويش ، وعن كل فوضى ، وعن كل صراع ، فشرع لذلك أحكاماً بعيدة النتائج واسعة المدى . وأوصى لذلك وصايا حكيمة دقيقة . وأخذ لذلك من أصحابه وأمته عهداً ومواثيق . وذكرت ذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : ( لا يترك بجزيرة العرب دينان ) (١) .

(١) رواه أحمد في (المسند) والطبراني في (الأوسط) وجاء في الموطأ للإمام مالك (ألا لا يبقين دينان بأرض العرب) .



## المسيحيون المثقفون قادة حركة القومية العربية

تزعّم حركة القومية العربية وقادها بعض المثقفين المسيحيين، الذين لم تكن تربطهم بالأترك (١) رابطة العقيدة والدين المبين، ورابطة الإخاء الإسلامى، وكانوا مثقفين بالثقافة الغربية التى تقوم على تمجيد القومية، وكان من زعمائها الأولين الدكتور فارس نمر، إبراهيم اليازجى، والأستاذ نجيب العاذورى اللبناى.

يقول على حسن الخربوطلى:

كان أول من بشر برسالة القومية بين العرب هم أبناء الرعايا المسيحيين، حيث وجدوا فى القومية أداة صالحة ليس للتخلص من السيادة العثمانية بل الخروج كذلك من حدود الدائرة الإسلامية إلى وسط أرحب حيث يستطيع المسلمون وغير المسلمين من العرب أن يذیبوا أنفسهم فى ولاء شامل (٢).

(١) الذبن كانوا يحكمون الجزيرة العربية، والشام، وفلسطين، ولبنان والأردن والعراق، والأقطار العربية التى كانت - ولا تزال - توجد بها جالية كبيرة من المسيحيين.

(٢) القومية العربية من الفجر إلى الظهر، حسن الخربوطلى.

ويقول الدكتور يوسف خليل :

ومما يميز الحركة القومية العربية، الدور البارز الذي قام به المسيحيون في تدعيمها وتقويتها واختفاء النزعة الدينية تماما من المفهوم العربى (١).

### **شيوع التصور الغربى للقومية :**

وجاء دور المفهوم العربى للقومية العربية التى هى فكرة مستقلة وفلسفة بذاتها ولها كل ما للدين من حمية وحرارة وشعائر ومقدسات.

يقول الكاتب اللبناني المسلم على ناصر الدين فى كتابه (قضية العرب) .

«القضية العربية لن تكون أبدا عند العربى المؤمن الحر العاقل، الشريف، الصالح، الخير الأبى المترفع، إلا قضية إيمان، إيمان بالوطن للوطن، كقضية الإيمان بالله ليس غير» .

ويتكلم عن مهمة قضية العرب وأهدافها فيقول :

«وتحارب (القومية العربية) الجهل والفقر والمرض والظلم وكل عصبية إلا العصبية القومية،

(١) مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب (قضية العرب) للأستاذ على ناصر الدين - بيروت ١٩٦٣م ص ١٩ .



وتفصل الدين عن السياسة، وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها وتعلم العربى أينما كان أن يتعصب بعنف لأمرين: قوميته، والحق والصدق».

ويشرح هذا الكاتب (العروبة) فى بيان واضح ولفظ صريح فيقول:

«العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية فى هذه الحياة الدنيا وإنها مع دعوتها - العروبة - تحمل أسمى ما فى الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات، وفضائل وحسنات»<sup>(١)</sup>.

وهكذا قال عمر الفاخورى قديما فى كتاب له سماه، (كيف ينهض العرب؟).

«لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربى ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبى الكريم، والمسيحيون والكاثوليك على إنجيل المسيح الرحيم، والبروتستانت على تعاليم لوثر الإصلاحية، وثوريو فرنسا فى عهد الرعب على مبادئ روسو الديموقراطية، ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجلة العربى أيضا: ص ٢٥.

(٢) نقلا عن كتاب (الأمة العربية فى معركة تحقيق الذات) للأستاذ محمد المبارك، هامش ص ٤٠٧.

## القومية العربية مؤامرة دقيقة للمسيحيين في الشرق الأوسط:

وقد أصبح العرب المسلمون في ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة في الشرق العربي التي يتوقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية، وحلولها محل الدين الإسلامي، والتي تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مركز الزعامة والقيادة والتوجيه في العالم العربي، وتستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الإسلامي الذي لا ترتبط به هذه الأقلية عقيدة وعاطفة وتاريخا، ولا يزال ميشيل عفلق<sup>(١)</sup> (المسيحي ولادة) مؤسس حزب البعث العربي ورئيسه، فيلسوفها الأكبر في الشرق العربي.

وضع المفكرون من غير المسلمين فلسفة القومية العربية بمكر ودهاء، واستخدموا في إعدادها لباقتهم الفائقة، فمنحوها منهجا علميا، وجمعوا في هذه الفلسفة ما يحمل تأثيرا خلابا على ذهن الشباب

---

(١) ميشيل عفلق كان مؤسسا لحزب البعث ورئيسه، وهو مسيحي سوري انتقل في آخر عمره إلى العراق، وعاش مكرما مبعولا ومات في عام ١٩٩٠م. وأشيع في الناس (لمصلحة يعرفها حكام العراق) أنه أسلم، وقال عالم من علماء العرب (إنه أسلم بعد موته).



العربي المثقف (الذي تجيش في قلبه عواطف استعلاء) وتتضح هذه اللباقة بهذه العبارة المقتبسة من كتاب (في سبيل البعث) لميشيل عفلق (١) الذي يعتبر ميثاق هذه الحركة:

«إن تأجيل ظفر الإسلام طوال تلك السنين، كان يقصد أن يصل العرب إلى الحقيقة بجهدهم الخاص، وكنتيجة اختبارهم لأنفسهم وللعالم، وبعد مشاق وآلام، ويأس وأمل، وفشل وظفر، أي أن يخرج الإيمان وينبعث من أعماق نفوسهم، فيكون الإيمان الحقيقي الممتزج مع التجربة، المتصل بصميم الحياة، فالإسلام إذن: كان حركة عربية، وكان معناه تجديد العروبة وتكاملها».

ويقول: «إذن فالمعنى الذي يفصح عنه الإسلام في هذه الحقبة التاريخية الخطيرة، وفي هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التطور، هو أن توجه كل الجهود إلى تقوية العرب وإنهاضهم، وأن تحصر هذه الجهود في نطاق القومية العربية».

### **صلة صدام حسين بحركة القومية:**

كان الرئيس صدام حسين ذا صلة وثيقة بحزب البعث العربي المذكور الذي يعرف بدعوته إلى

(١) ويتضح من مطالعة هذا الكتاب أن المفكرين للقومية العربية وزعماءها في مصر، كانوا من تلاميذ هذه المدرسة وأتباعها.

القومية العربية ، من مقتبل عمره ، ويرأس هذا الحزب نصرانى سورى ، وهو الأستاذ ميشيل عفلق الذى سبق ذكره ، وقضى المذكور آخر عمره فى العراق ، وتوفى فى عام ١٩٩٠ م . وتم تأسيس هذا الحزب فى عام ١٩٤٣ م ووصل ذروته فى عام ١٩٤٧ .

وتدور فلسفة هذا الحزب الأساسى حول اعتبار العرب وحدة بذاتهم ، وإن الفروق التى توجد بينهم على أساس الدين والعقيدة ، والثقافة والسياسة ، صناعية وعابرة . تزول وتتلاشى بصحوة العرب القومية ، وغلبة هذا الشعور فيهم ، وشعار هذه الحركة والحزب ودستورها (العرب أمة واحدة ذات رسالة خالدة) .

وترمى هذه الحركة إلى إعادة العرب إلى عهد ما قبل الإسلام أى الجاهلية العربية ، العهد الذى لم يكن لهم فيه دين جديد <sup>(١)</sup> . ولم يبعث فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ، وشريعته ، وتمجد هذه الحركة أبطال الجاهلية والشخصيات المعروفة فى الجاهلية التى يشتمل على ذكر بطولاتها وأيامها الشعر الجاهلى ، وفاخر

(١) يقول العلامة محمد طاهر الفتى (م ٩٨٦ هـ) فى كتابه المشهور (مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار) : «الجاهلية هى الحالة التى عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله والشرائع ، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر ونحوها» (الجزء الأول ص ٤٢٥) .



بها الشعراء الجاهليون، وتدعو هذه الحركة إلى التفاخر بها، وإحياء ذكرها، والاستغناء عن الإسلام بمبادئ جديدة وفلسفة جديدة للحياة، تسير مع القومية العربية المطلقة، والمصالح السياسية والمادية، ولم يرد اسم الإسلام في دستورها مطلقاً.

ويعتقد المحققون والمبصرون أن هذه الحركة خطة مدبرة للحركة المسيحية الصليبية، وأنها مؤامرة عميقة الجذور لقطع صلة العرب عن الإسلام، ويمكن أن تلاحظ آثار هذه الحركة في الشام - البلد الإسلامي الذي كان يتميز بالتاريخ الإسلامي المجيد - في عهد حكم حافظ الأسد الحالي الذي يرتبط بحزب البعث العربي الاشتراكي، حيث دمرت المساجد واضطر الغياري على الدين وأهل العلم، إلى مغادرة البلاد، وفرض الحظر على الحركات الإسلامية، والأحزاب الإسلامية<sup>(١)</sup>. وبدت آثارها في الكويت بعد الغزو العراقي، ويخشى أن تحدث هذه التطورات في كل بلد يخضع لحكم هذا الحزب.

يقول ميشيل عفلق في كتابه المعروف (نضال البعث)؛

(١) وذلك بعد أن قام بذبج الحركات الإسلامية في سوريا خلال عامي ١٩٨٠، ٨١ بعد سلسلة من المجازر البشرية الرهيبة وأشهرها مجزرة سجن (تدمر) في ١٧/٦/١٩٨٠ ومجزرة حماة عام ١٩٨١م.

”الأمة العربية وحدة ثقافية ، وجميع الفوارق بين أبنائها زائفة ، تزول جميعها بيقظة الوجدان العربى “ (١).

”الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة ، فى مراحل التاريخ ، وترمى إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشرى وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم “ (٢).

”فنحن إذن أمة ، ولكن لاتبدو هذه الأمة ، وكأنها خلقت بالإسلام ، مما يقوى منطق الرجعية الدينية المتخلفة وبما يعنى أننا يجب أن نكون حزبا دينيا ، ونحن لسنا كذلك ، ولكن طريق تغيير الحياة وبنائها الجديد هو طريق حزب البعث العربى الاشتراكى ، وهو الصبغة الجديدة للتعبير عن روح الأمة ورسالتها الإنسانية (٣).

### **لماذا نعارض القومية العربية ، وما هى بواعث هذه المعارضة ؟**

إن المخاوف والشبهات التى ليست بدون أساس ، والتى تبررها المقتطفات السابقة والنماذج المذكورة ، هى التى تحمل على معارضة حركة القومية العربية ، إن الذين يراقبون التطورات والنتائج

(١) نضال البعث ج ١ / ١٧٢ .

(٢) أيضا ج ١ ، ١٧١ .

(٣) فى سبيل البعث ص ٣٤٤ .

المرتبة عليها وأثارها البعيدة. والثاني يعتبرون العرب رصيد الدعوة الإسلامية، ورأس مآلها، والبلاد العربية معيبتها وملكاتها الأخير، ويعرفون حقيقة المفهوم الغربي للقومية، والذي يتعارض مع الدين، بل هو بديل له، أو ضد له، وتهيئ للادينية والإلحاد، يقلقهم النظر إلى هذه الظروف السيئة، وبضطربون ويتاملون، ولا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار.

إن الحركة القومية لأي بلد عربي أدهى وأمر من كل حركة أخرى للقومية. لأن من شأن هذه الحركة أن تحملهم على احترام الجاهلية القديمة، وتمجيد الآباء والأمجاد في الجاهلية أو على الأقل تقلل من كراهيتها من قلوبهم، وتمنع من الاستهانة بها.

والعهد الجاهلي هو الذي ذكره القرآن الكريم كالعهد المثالي للكفر، وأثار في النفوس كراهيته وأبرز مساوئه بطرق متعددة.

ومن أسلوب القرآن الكريم أنه إذا أراد أن يبرز كراهية أي عمل وقبحه، أو شناعة أي اتجاه فكري وخلقى، ويصور وخامته، ينسبه إلى الجاهلية الأولى، فيقول:

**”يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية“ (١). ”أفحكم الجاهلية يبغون“ ؟ (٢).**

(١) سورة آل عمران. الآية: ١٥٤. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.



- "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" (١).  
- "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية" (٢).

ويخشى كذلك من هذه الدعوة أن تتضاءل كراهية صناديد الكفر الذين شاقوا الرسول صلى الله عليه وسلم، ونصبوا العدااء له ولدعوته، ويعتبرون أبطالاً وعماليق العصر الذي سبق الإسلام، وهو الأمر الذي يخشى أن يؤدي إلى زوال الإيمان ونوع من الردة لا غير، وقد تحقق من دراسة السنة والحديث النبوي، أن من لوازم الإيمان وسمات الإسلام كراهة الكفر والامتنعاض منه واقشعرار الجلد من تصور العودة إليه والتورط فيه كما جاء في الحديث الآتي:

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار) (٣).

وقد شوهد في السنوات الأخيرة في القوميين العرب اتجاه إلى ذلك، فقال بعضهم: إن المؤرخين المسلمين قدموا صورة قاتمة للعهد الجاهلي أكثر

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٥

(٣) جامع صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب حلاوة الإيمان.

مما كانت، وبدأ بعض الكتاب يدافعون عن العهد الجاهلى، ويحسنون صورته، وتجري فى وزارة التعليم والتربية والدوائر العلمية فى بعض الدول العربية حركة استخدام تعبير (عهد ما قبل الإسلام)، أو العرب القدماء بدلا من العصر الجاهلى أو الجاهلية، وإذا سارت حركة القومية العربية مسارها الطبيعى، أو تقدمت ولم يظهر أى رد فعل لها أو لم يوضع حد لها، فلا يبعد ذلك اليوم الذى يبدأ الكتاب فيه الدفاع عن أبى جهل وأبى لهب، ويبررون مواقفهما، وينظرون إليهما كأبطال العرب وعظمائهم، بالنظر إلى بعض شمائلهما العربية.

وكان من تأثير حركات القومية المباشرة وأثر القادة والأدباء والمؤلفين المسيحيين القوميين، تضاؤل الكراهية من الكفر وأهل الكفر، وزوال الاشمئزاز منه فى النفوس، وحلت محلها كراهية تلك الدول الإسلامية غير العربية والشعوب التى تعارض هذه القومية أو تقع فى كتلة أخرى، وقد تجلى هذا الانحياز فى أبشع مظهر، بموقف جمال عبدالناصر خلال قضية قبرص فأيد اليونانيين المسيحيين وساندهم عسكريا مقابل الأتراك المسلمين، كما أيد الدول الأفريقية التى قامت بسفك دماء المسلمين فى بلادها بوحشية وبربرية، وإبادتهم.

إن هذه الأسباب اللامعة والدلائل القاطعة التى لم

تعد مخاوف أو أخطارا، وإنما هي حقائق ووقائع، تدعو أهل العلم والفكر إلى أن يحترزوا عن تأييد الفومية العربية أو يحترسوا فيها، أو أن لا يقولوا كلمة خير في صالح أى قائد أو زعيم من قادتها، بل يجب عليهم إذا أرم الأمر أن يفتدوها وينبها إليها، ليؤدوا أدنى الواجب الدينى، فيط بهم عبء إبلاغه وبيانه للناس.

**المؤامرات لقطع صلة العرب بالإسلام عبر التاريخ، وخيبتها :**

إن المحاولات لقطع صلة العرب بالإسلام وإعادةتهم إلى الجاهلية الأولى، والمؤامرات لتحقيق هذا الهدف، ليست بأمر جديد فى التاريخ، فقد كان قبول جزيرة العرب للإسلام- دين التوحيد- تصويبا للخصائص التى كانت تمتاز بها بين الشعوب المعاصرة لها حينذاك من قوة الإرادة والشكيمة، والعمل والفروسية والشمائل الأخرى، وكان الإسلام تصحيحا وهداية لما تعانىه من مساوىء خلقية ومواطن ضعف وكان قبول العرب لدين يقوم على أساس عقيدة التوحيد، وحملهم رسالته بحماس واعتزاز والتحرر من عبودية الإنسان (سواء كانوا حكاما أو قادة دينيين، أو رؤساء القبائل والأسر) خطرا وتحديا كبيرا لجميع الدول المحيطة بالمنطقة، والحكومات القائمة.



ولم تمض على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مدة يسيرة إلا واكتسحت الجزء الشرقي من الجزيرة العربية، موجة من الردة، وإنكار فرضية الزكاة -الركن الأساسي من أركان الإسلام- أو التمرد على دفعها إلى بيت المال، ثم ظهور المعتنقين في عدد ملحوظ (١) كل ذلك كان محنة واختياراً لدين. لم تمض على نشوئه مدة طويلة - لا يوجد له نظير في تاريخ الأديان، وقليل من الناس بحثوا عنوامل هذه الفتنة، ودرسوا خطورتها، وانعكاساتها، والقوى المتسترة وراءها، وعلاقاتها الداخلية والخارجية، ولم ينل هذا الموضوع الاهتمام اللائق من الباحثين، وقد أشار إلى هذا الجانب بعض المؤرخين والباحثين في العصر الحاضر، وأدركوا وجود توجيه من اليهود والنصارى وتخطيطهم في هذه الفتنة، فقد شعروا بأنهم لم يستطيعوا أن يخلفوا أي أثر على الجزيرة العربية في المدة الطويلة التي سبحت لهم (٢) وانتشر الإسلام في فترة قصيرة، وساد الجزيرة العربية بكاملها، وأصبح دينها الذي يتبع، وكان هذا الإفئال عليه مبعث خطر.

(١) أمثال مسيئة الكذاب، وأسود العنسي، وطلحة،

وسجاح، ولقيظ بن مالك الأزدي.

(٢) اعترف بذلك المؤلف المسيحي المعروف بتحامله على

الإسلام sir william muir في كتابه (حياة محمد)

life of Mohammad, London 1885 v.II.

للحكومتين البيزنطية والساسانية المجاورتين أيضا ،  
فحاول أعداء الإسلام والحاسدون استغلال فتنة  
الردة وتشجيعها (١).

لقد كان من التدبير الإلهي والمدد الرباني ، أن  
قيض الله تعالى لمواجهة هذه الفتنة ، خليفة  
الرسول الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه الذي  
لايوجد له نظير في التاريخ المحفوظ لأي دين  
وعقيدة ، ولايوجد له مثل في خلفاء الرسل (سلام  
الله عليهم جميعا ) فقد أبدى صموده وقوته وعزمه  
وثباته في مقاومة هذا الخطر ، وهذا من رحمة الله  
الذي يحمل دعوتها ويحميها إلى يوم الدين ، وقد  
انعكست عواطف الصديق وأحاسيسه القلبية في  
هذا الأمر ونفسيته في قوله :

(أينقض الدين وأنا حي ) إنه أحمد هذه الشرارة ،  
ودفن هذه الفتنة في مهدها ، وعادت الجزيرة  
العربية والأمة العربية إلى الوحدة العقدية والعملية  
والفكرية ، التي كانت عليها في عهد الرسول صلى  
الله عليه وسلم ، ودخلت هذه الفتنة في مجاهل  
التاريخ ، وأصبحت حديث خرافة وأسطورة ، وقد  
بين أبو هريرة رضى الله عنه هذه الحقيقة في  
أسلوب قوى واضح .

(١) للتفصيل راجع كتاب "أثر أهل الكتاب في الفتن  
والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري" للدكتور جميل  
عبدالله المصري طبع المدينة المنورة ١٩٨٩م ص ١٧٤-

.١٨٠

عن أبي الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه  
قال: (١)

(والله الذى لا إله إلا هو ، لولا أن أبا بكر استخلف  
ما عبد الله ، ثم قال الثانية ثم قال الثالثة ) .  
ولانشاهد فى التاريخ الإسلامى بعد فتنة الردة  
خطرا أكبر على الجزيرة العربية والبلدان المجاورة ،  
والأماكن المقدسة ، من الحروب الصليبية ، وزحف  
القوى الغربية إلى فلسطين والقدس . والتى بدأت  
فى أواخر القرن الخامس الهجرى ٤٩٠ هـ وانتهت  
فى أواخر القرن السادس الهجرى ٥٨٣ هـ -  
١١٨٧ م ، وتفيد دراسة التاريخ لذلك العصر بأن  
الهدف الرئيسى لهذه الحروب أو الزحف الصليبي  
الذى اشتركت فيه جميع القوى الغربية المسيحية ،  
لم تكن لمجرد السيطرة على المسجد الأقصى  
وفلسطين وحدهما ، بل كان هدفها أوسع منها ، إنه  
كان الاستيلاء على الحرمين الشريفين ، فقد صدرت  
من لسان قادة هذه الحروب ، تصريحات تكشف عن  
نيات هؤلاء القادة الخبيثة وأبعاد هذه الحملة ،  
ولايستطيع قلم مسلم غيور أن ينقل هذه الكلمات ،  
ومما كان يزيد الطين بلة أن فلسطين والشام والدول  
المجاورة ، لم تكن فى موقف قوة يمكنها أن تواجه  
هذه القوة المجتمعة لأوربا ، والصليبيين ، يقول المؤرخ

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠٥ .



الانجوا يرى الشهير استانلي ليدربول.

أدحل الجنود الصليبيون من البلاد . كما يدحل  
مسماها في الخشب المسخور . وبما للناظر كأبهم  
يجعلون حذر الإسلام هباء عشورا (١)

وقد فيض الله لمواجهة هذا الوضع وتخييب هذه  
المحاولة الدنسة . وطرد المستعدين . ليس من الشام  
وفلسطين وحدهما . بل لتأمين سلامة الجزيرة  
العربية بكاملها . وحفظها . الملك المادل نور الدين  
الزنكي الذي استطاع بؤده المسئولية العظيمة . إنه  
كان يرى نفسه مأمورا من الله تعالى لدحر  
الصليبيين واستعادة بيت المقدس . ويعد هذا العمل  
أكبر عبادة وأعظم وسيلة للعبادة إلى الله . فرض  
على الدول المسيحية مهاتته ورعيه . لغاراته  
المتواصلة . وحاصر الصليبيين من جانبيين بعد  
إخراجهم من مصر .

ولكن القدر المحتوم لإلحاق الهزيمة الأخيرة . كتب

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ١ ص ٦٦٧ المقال  
بعنوان Crusades

لقائد جيوشه السلطان صلاح الدين الأيوبي (١) فقد توفي السلطان نور الدين في عام ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م ، وتولى هذه المسئولية العظيمة السلطان صلاح الدين الأيوبي .

كان السلطان صلاح الدين الأيوبي معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة ، وبرهانا ساطعا على صدق الإسلام وخلوده ، وجديرا بأن يدعو له كل مسلم ويعترف بفضله ومنه ، ولعله ولد ليتم هذا العمل الجليل ، فقد كان السلطان صلاح الدين ولوعا بالجهاد كثير الاهتمام به ، فكان الجهاد لذة عيشه ، وغذاء روحه ، وطيب نفسه ، وقد بلغت غيرته وحميته الدينية كل مبلغ .

(١) كان اسم والد السلطان صلاح الدين (أيوب) ، وإليه تنسب أسرته ، وكان السلطان وأسرته من الأكراد . وقد أنجبت هذه الأسرة في مختلف العصور مجاهدين ودعاة ، وربانيين ، وقد أباد مئات ألوف من أفراد هذه القبيلة القائد العراقي صدام حسين بالأسلحة الكيماوية والقنابل وأشهر هذه المجازر البشعة (مجزرة حلبجة) في مارس ١٩٨٨ حيث استشهد من أبناء المدينة ستة آلاف في يوم واحد ، وفر خمسة وعشرون ألفا وجرح وشوه مثل هذا العدد ، حيث قام صدام بضرب المدينة بصواريخ فروك (٧ أطنان) ، وبالمواد الكيماوية المحرمة دوليا وترك الجثث عدة أيام حتى اسودت وتعفنت ، دون أن يجروا أحد على الاقتراب منها .

ويتضح ذلك من موقفه الذي وقفه إزاء ملوك  
الدول الأوروبية والقادة المنهزمين في معركة حطين،  
فلما عرض هؤلاء عليه، أجلسهم بجانبه وأكرمهم،  
لكن لما دخل ريجي نالد (Raginold) في  
الخيمة: قال له السلطان، اسمع. إنى نذرت قتلك  
مرتين، مرة عندما أبديت نيتك للإغارة على مكة  
المكرمة والمدينة المنورة المقدستين. ثم لما هجمت  
على قافلة الحجاج<sup>(١)</sup> وسل السلطان صلاح الدين  
سيفه من غمده وقال، ها أنا أنتصر لمحمد صلى  
الله عليه وسلم وضرب عنقه، وبهذا المنظر أخذت  
الملوك والقادة الآخرين رعدة، فقال لهم: لا، ليس  
من عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، أما هذا فقد  
تخطى الحدود، فجرى ما جرى.<sup>(٢)</sup>

ويقول القاضي ابن شداد:

(كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم  
لا تحمله الجبال)<sup>(٣)</sup>.

وثارت نائرة أوروبا بعد فتح بيت المقدس وهزيمة  
حطين وفشل الصليبيين الذريع، فتكالبت أوروبا

(١) وأصاف إلى ذلك ابن شداد، أنه لما غدر بالقافلة ناشدوا  
الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين، فقال: قولوا لمحمدكم  
يخلصكم، فلما بلغه رحمه الله، نذر أنه متى أظفره الله به  
قتله بنفسه، ص ١٢٧.

(٢) السلطان صلاح الدين ص ١٨٨.

(٣) النوادر السلطانية.



بأسرها على بلد صغير مثل الشام، بجنودها  
المجندة، وملوكها الكبار وفرسانها البواسل وقوادها  
الشجعان، مثل قيصر، وفريدرك، ورتشارد قلب  
الأسد، وملوك انجلترا، وفرنسا، وصقلية، والنمسا،  
ويوغندي، وفلاندرز، وأمرائهما، ولم يقم فى وجههم  
إلا السلطان صلاح الدين، وأقاربه وعدة من خلفائه،  
ينافحون عن الإسلام ويحمون دماء المسلمين،  
ويقاتلون عن العالم الإسلامى كله.

وأخيرا تم الصلح بين الفريقين بعد أن نالت منهما  
الحروب الدامية المتواصلة التى دامت خمسة أعوام  
نيلا كبيرا فى الرملة، سنة ١١٩٢م، وبقي بيت  
المقدس والمدن والقلاع التى فتحها المسلمون تحت  
أيديهم، إلا ولاية بعكة، الصغيرة التى يحكمها  
الصليبيون، وظل صلاح الدين سلطان سائر البلاد  
وصاحب الأمر والنهى فيها، وتم على يده العمل  
الذى تولى مسئولية إنجازه، وبعبارة أصح: قيضه  
الله له، وفوضه إليه.

وبعد أن قام بواجبه المقدس أحسن قيام، ولم  
يحصن الشام وفلسطين والجزيرة العربية وحدها من  
خطر العبودية للصليبيين بل حصن العالم الإسلامى  
كله، استأثر الله بابن الإسلام البار فى ٢٨ من صفر  
٥٨٩ هـ، وكان سلطانا زاهدا عابدا ومجاهدا،  
فلما توفى لم يخلف من المال ما يكفى لتكفينه، وقد  
جهزه وزيره وكاتبه القاضى الفاضل ولم تجب عليه

الزكاة في حياته ، لأنه لم يوفّر من ماله ما يوجب عليه الزكاة (١).

إن صد الهجومين الصليبي والصهيوني العسكري أو الفكري أو اللاديني ، على أي بلد إسلامي فضلا عن الجزيرة العربية أو الأماكن المقدسة ، والحفاظ على الأماكن المقدسة ، واستعادة المسجد الأقصى ، وسيادة الإسلام وإعادة العهد الذهبي له ، يتطلب هذه السيرة والسلوك ، وهذه العزيمة والقوة الإيمانية ، ولكن العالم العربي يفتقر إليها اليوم ، وهي مطلوبة لكنها مفقودة ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

واجهت جزيرة العرب ، والأماكن المقدسة الخطر الثالث في تاريخ الإسلام وتاريخ العرب عندما قام شريف مكة الحسين بن علي بثورة ضد الخلافة العثمانية ، والدولة التركية ، وانضم إلى الحلفاء ، وكاد يستولى الحلفاء على جزيرة العرب ، والأماكن المقدسة ، ويفرضون عليها نفوذهم وسيادتهم فيكون لهم الحكم في الشئون الاعتقادية والفكرية فيها ، ولكن قامت لمعارضة هذه الخطوة حركة عارمة في العالم الإسلامي وخاصة في شبه القارة الهندية باسم حركة الخلافة ، واستطاعت هذه الحركة بقوتها وشعبيتها أن تحذر الحلفاء وتردعهم

(١) النوادر السلطانية ص ٥ - ١٠

من هذا الإجراء الأثيم، ومن جهة أخرى غرست هذه الحركة في نفوس المسلمين في الهند بصفة خاصة والملة الإسلامية بصفة عامة، رد فعل عنيف لا يوجد له نظير في مناطق شاسعة ومدة طويلة، ليس ضد الاحتلال الغربي فحسب، بل ضد الحضارة الغربية، والمنهج الغربي للحضارة، وقد قيض الله لهذه الحركة على صعيد الهند زعماء أمثال شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ عبدالباري الفرنجي محلي، وشيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني، والمفتي كفايت الله، ورئيس الأحرار محمد علي جوهر، وزعيم الهند الكبير أبو الكلام آزاد، كما قيض الله لها قادة وزعماء، وخطباء وأصحاب أقلام، ومجاهدين، وجنودا نفخوا في الجيل المسلم الجديد حياة جديدة واستعلاء إيمانيا، وسموا للفكر، وكراهية للاستعمار الغربي، والحضارة الغربية وبث روح الثورة عليها، وفي الوقت نفسه انشغل الحلفاء بالحربين الكونيتين والقضايا الداخلية الأخرى، لم تسنح لهم بها فرصة لاتخاذ إجراء عسكري كبير أو فرض سلطة سياسية أو إدارية، ولم تسمح لهم ظروفهم بذلك، فاكتفوا بفرض النفوذ الفكري والتعليمي والحضاري واستغلال هذه الدول سياسيا واقتصاديا.

ولكن الحادث الأسوأ والإجراء الأخطر الذي اتخذته الدول الغربية وخاصة بريطانيا هو قيام



إسرائيل واحتلالها للمساحة الكبرى من أرض فلسطين، واستيلائها على المسجد الأقصى، والذي يبعث على قلق دائم ويسبب شقاء مستمرا ليس في العالم العربي، بل في العالم الإسلامي كله، وينذر بأخطار ويثير مخاوف بعيدة المدى، ويشكل خطرا دائما لسلامة المنطقة، وترجع المسؤولية الكبرى لهذه المحنة إلى جامعة الدول العربية، ثم الدول العربية في المنطقة، التي لم تدرك هذه المؤامرة الخطيرة، ولم تفهم نيات الدول الكبرى السيئة من ورائها وما ترمى إليه إسرائيل واليهودية، والصهيونية العالمية، وما هي أهدافها ومخططاتها، ولم تقدر وخامة هذه الحادثة وملابساتها وانعكاساتها ونتائجها السيئة (١)

إن هذه الظروف التي يمر بها العالم العربي، والوضع الناشئ من هذا الاحتلال ووجود إسرائيل والأخطار الناشئة من وجودها، تقتضى رجلا مؤمنا ومجاهدا غيوراً، وقائداً مخلصاً يمثل دور البطل الناصر لدين الله السلطان صلاح الدين الأيوبي، ويتبع خطواته، إنه ليس عمل المحترفين السياسيين، وأدعياء القومية العربية، وقد قال أحد المؤرخين الفضلاء والشاعر العربي خير الدين الزركلي مخاطباً للأمة الإسلامية وفلسطين قبل عدة

(١) راجع بروتوكولات صهيون، واليهودية العالمية هنري فورد Henry ford.

سنوات ، ويصدق قوله على الظروف الراهنة .

هاتى صلاح الدين      ثانية فينا  
وجددى حطين      أو شبه حطينا (١)

إن الوضع السائد اليوم يدل على أن الصليبيين واليهود والصهيونيين غيروا استراتيجيتهم فى ضوء تجاربهم الماضية، فبدلاً من فتح الدول العربية المجاورة عنوة بصورة مباشرة، اتخذوا استراتيجية تسخير دعاة القومية العربية وخاصة المرتبطين بالبعث العربى، والمغرمين به، وهياًوا لهم فرصاً ليصنعوا منهم أبطالاً يغرى بهم المسلمون وخاصة الفلسطينيين، ويفتتون بإعلانهم أنهم سيحررون فلسطين، وبذلك يكسبون ودهم وتأيدهم، وتتاح لهم فرصة التوغل إلى مركز الإسلام، والتمكن من مسح الذهن العربى ثقافياً وفكرياً وإعادة العرب إلى الجاهلية الأولى بتوهين الكيان الدينى وزحزحة العقيدة، وبالتالي سقوطهم إلى جاهليتهم العربية الأولى (٢)، وهو الحلم الذى يراود قادة الدول الغربية المسيحية واليهودية منذ قرون.

(١) المعركة الحاسمة التى انتصر فيها صلاح الدين على أوروبا وفتح القدس.

(٢) يخشى أن ما حدث فى الكويت يحدث فى الحجاز المقدس- لا قدر الله- فتنصب فيها تماثيل صدام حسين- وقد بلغ عددها مئات وألوفاً فى العراق- وتتشأ نواد ومجامع بأسماء أبى جهل وأبى نهب وعنترة العيسى، وحاتم الطائى، ويرفع الحظر على شرب الخمر، كما هو السائد فى العراق، وتتخذ إجراءات ضد شعائر الإسلام، ويساء إلى الأماكن المقدسة، والمساجد العامة، كما يشاهد فى العراق.

إنه لمخطط رهيب ودقيق، خفى وعميق، يحتاج فهمه إلى ذكاء، وحس مرهف وبصيرة نافذة من رجال العالمين العربى والإسلامى، وفراسة إيمانية كذلك، كما يحتاج إلى معرفة واسعة ودراسة عميقة للتاريخ، وفق الله فى هذا الوضع الخطير الحاسم قادتنا الدينين والزعماء السياسيين، وقادة الفكر والمسئولين عن الإعلام، وأصحاب النفوذ وأصحاب القلم، وعلى الأخص الشباب المتحمسين، ويلاهمهم الهمة والسداد، والفهم السليم ليدركوا خطورة وعمق المؤامرات المسيحية الغربية وأعداء الإسلام والمثقفين المعادين والمفكرين الإسرائيليين ويفطنوا لها، ويحترزوا عن الوقوع فى فخهم، ويجعلوا هذه الآية نبراساً لهم.

**«البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا» (١).**

(١) سورة الأعراف الآية (٥٨)

## **القسم الثاني**

**كيف يستعيد العرب مكانتهم اللانقة بهم؟  
وكيف يحافظون عليها؟!**





## أهمية العالم العربي

إن العالم العربي له أهمية كبيرة في خريطة العالم السياسي، وذلك لأنه وطن أمم لعبت أكبر دور في التاريخ الإنساني، ولأنه يحتضن منابع الثروة والقوة الكبرى؛ الذهب الأسود الذي هو دم الجسم الصناعي والبحري اليوم، ولأنه صلة بين أوروبا وأمريكا، وبين الشرق الأقصى، ولأن قلب العالم الإسلامي النابض يسجه إليه روحيا ودينيا ويدين بحبه وولائه، ولأنه تسمى - لا قدر الله - أن يكون ميدان الحرب الثالثة، ولأن فيه الأيدي العاملة، والعقول المفكرة، والأجسام المقاتلة، والأسواق التجارية، والأراضي الزراعية، ولأن فيه مصر ذات السيل السعيد بنتاجها ومحصولها وخصبها وثروتها ورقبها ومدنيتها، وفيه سورية وفلسطين وجاراتها، باعتدال مناخها وجمال إقليمها وأهميتها الاستراتيجية، وبلاد الرافدين بشكيمه أهلها ومنابع البترول فيها، والجزيرة العربية بمركزها الروحي وسلطانها الديني، واجتماع الحج السنوي الذي لا مثيل له في العالم، وآبار البترول الغزيرة، كل ذلك قد جعل العالم العربي محط أنظار الغربيين، وملتقى مطامعهم وميدان تنافس لقيادتهم، وكان رد فعله أن نشأ في العالم العربي شعور عميق بالقوموية العربية، وكثر التغني (بالوطن العربي) و (المجد العربي)

## محمد رسول الله روح العالم العربي :

ولكن المسلم ينظر إلى العالم العربي بغير العين التي ينظر بها الأوربي، وبغير العين التي ينظر بها الوطني العربي، إنه ينظر إليه كمهد الإسلام ومشرق نوره ومعقل الإنسانية وموضع القيادة العالمية، ويعتقد أن سيدنا محمداً العربي هو روح العالم العربي وأساسه وعنوان مجده، وأن العالم العربي - بما فيه من موارد الثروة والقوة وبما فيه من خيرات وحسنات - جسم بلا روح، وخط بلا وضوح إذا انفصل - لا سمح الله بذلك - عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع صلته عن تعاليمه ودينه، وأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أبرز العالم العربي للوجود، فقد كان هذا العالم وحدات مفككة، وقبائل متناحرة، وشعوباً مستعبدة، ومواهب ضائعة، وبلاداً تتسكع في الجهل والضلالات، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية والفرسية ولا يخطر ذلك منهم على بال، ولا يصدقون بذلك إذا قيل لهم في حال من الأحوال.

وكانت سورية التي تكون جزءاً مهماً من العالم العربي مستعمرة رومية، تعاني الملكية المطلقة والحكم الجائر المستبد لا تعرف معنى الحرية والعدل، وكان العراق مطية لشهوات الدولة الكيانية مثقلة بالضرائب المجحفة والإتاوات الفادحة، وكانت مصر قد اتخذها الرومان ناقية حلوباً ركوباً.

يجزون صوفها ويظلمونها فى علفها ، ثم إنها تعاني  
الاضطهاد الدينى مع الاستبداد السياسى ، فما لبث  
هذا العالم المفكك المنحل ، المظلوم المضطهد ، أن  
هبت عليه نفحة من نفحات الإسلام الذى جاء به  
محمد صلى الله عليه وسلم ، أدرك رسول الله هذا  
العالم وهو ضائع هالك وأخذ بيده وهو ساقط  
متهالك ، فأحياه بإذن الله وجعل له نوراً يمشى به  
فى الناس ، وعلمه الكتاب والحكمة وزكاه ، فكان هذا  
العالم بعد البعثة المحمدية سفير الإسلام ، ورسول  
الأمن والسلام ، ورائد العلم والحكمة ، ومشعل الثقافة  
والحضارة ، كان غوثاً للأمم ، غيثاً للعالم ، هنالك  
كانت الشام وكان العراق ، وكانت مصر ، وكان العالم  
العربى الذى نتحدث عنه ، فلولا محمد رسول الله  
صلى عليه وسلم ، ولولا رسالته ، ولولا ملته ، لما  
كانت سورية ، ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ، ولا  
كان العالم العربى ، بل ولا كانت الدنيا كما هى الآن  
حضارة وعقلا ، وديانة وخلقاً ، فمن استغنى عن دين  
الإسلام من شعوب العالم العربى وحكوماته ، وولى  
وجهه شطر الغرب أو أيام العرب الأولى ، أو استلهم  
قوانين حياته أو سياسته من شرائع الغرب وديساتيره ،  
أو أسس حياته على العنصرية أو العروبة التى لا  
شأن لها بالإسلام ، ولم يرض برسول الله قائداً  
ورائداً وإماماً وقدوة ، فليرد على محمد بن عبد الله  
صلى الله عليه وسلم نعمته ويرجع إلى جاهليته  
الأولى ، حيث الحكم الرومانى والإيرانى ، وحيث



الاستعداد والاستعداد ، وحب العلم والاضطهاد ،  
وحيث الجهل والصلابة ، وحيث العفلة والبطالة ،  
وحيث العزلة عن العالم ، والجهل والجمود ، فإن  
هذا التاريخ المحيد ، وهذه الحضارة الراهية ، وهذا  
الأدب الزاخر ، وهذه الدول العربية ، ليست إلا حسنة  
من حساب محمد عليه الصلاة والسلام .

### الإيمان هو قوة العالم العربي

فالإسلام هو قومية العالم العربي ، ومحمد صلى  
الله عليه وسلم هو روح العالم العربي وإمامه وقائده .  
والإيمان هو قوة العالم العربي الذي حارب بها العالم  
البشرى كله فانتصر عليه ، وهو قوته وسلاحه اليوم  
كما كان بالأمس ، به يفهر أعداءه ، ويحفظ كتابه  
ويؤدى رسالته ، إن العالم العربي لا يستطيع أن  
يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال  
الذي ترضحه بريطانيا أو تنصق به أمريكا أو  
روسيا ، أو تعطيه مقابل ما تأخذه من أرضه من  
الذهب الأسود ، إنما يحارب عدوه بالإيمان والقوة  
المعنوية ، والروح التي حارب بها الدولة الرومية  
والامبراطورية الفارسية فى ساعة واحدة فانتصر  
عليهما جميعاً ، إنه لا يستطيع أن يحارب أعداءه  
بقلب يحب الحياة ويكره الموت ، ويحسب بديل إلى  
الدعة والراحة ، وعمل بخامره الشك ويتنازع فيه  
الأفكار والأهواء ، أو يبد مضطربة وقلب متشكك  
ضعيف الإيمان وقوة متخادلة فى الميدان ، فالمهم

لأمرء العرب وزعمائهم وقادة الجامعة العربية ، أن  
يفرسوا الإيمان فى الشعوب العربية ، و جماهير الأمة  
وأولياء الأمور ، والجيش العربية والفلاحين والتجار ،  
وفى كل طبقة من طبقات الجمهور ، ويشعلوا فيها  
شعلة الجهاد فى سبيل الله والتوق إلى الجنة ،  
ويبعثوا فيها الاستهانة بالمظاهر الجوفاء وزخارف  
الدنيا ، ويعلموهم كيف يتغلبون على شهوات النفس  
ومألوفات الحياة ، وكيف يتحملون الشدائد فى  
سبيل الله وكيف يستقبلون الموت بثغر باسم ، وكيف  
يتهافتون عليه تهافت الفراش على النور .

### **تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغت  
شقاوة الإنسانية غاية ما وراءها غاية ، وكانت قضية  
الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متعمون لا  
يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا محنة . لهم النعيم  
الحاضر والغد المضمون . إنما تحتاج هذه القضية  
إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم فى سبيل  
خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة ، ويعرضون  
نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا  
للخطر والضياح ، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم  
للتلف والكساد ، ويخيبون آمال آبائهم وأصدقائهم  
فيهم ، حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم صالح :  
**«قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا» (١)**

(١) سورة هود: الآية ٦٢ .

إنه لا بقاء للإنسانية ولا قيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين، وبشقاء هذه الحفنة من البشر في الدنيا - كما يعتقد كثير من معاصريهم - تنعم الإنسانية وتسعد الأمم، ويتحول تيار العالم، من الشر إلى الخير، ومن السعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم، وتضيع أموال وتكسد تجارات لبعض الأفراد، وتنجو نفوس وأرواح لا يحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم.

علم الله عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أن الروم والفرس والأمم المنحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن، لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر وتحمل المتاعب والمصاعب في سبيل الدعوة والجهاد وخدمة الإنسانية البائسة، ولا تستطيع أن تضحي بشيء من دقائق مدنياتها وتأنقاتها في الملابس والمأكول، وأن تتنازل عن حظوظها ولذاتها وزخارفها فضلا عن حاجاتها، وأنه لا يوجد فيها أفراد يقوون على قهر شهواتهم، والحد من طموحهم والزهد في فضول الحياة ومطامع الدنيا، والقناعة بالكفاف، فاختار لرسالة الإسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة والجهاد وتقوى على التضحية والإيثار، تلك هي الأمة العربية القوية السليمة التي لم تبتلعها المدنية ولم ينخرها البذخ والترف، وأولئك أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً .  
قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها :  
من الجهاد فى سبيلها وإيثارها على كل ما يقف فى  
وجهها والعزوف عن الشهوات ومطامع الدنيا ، فكان  
فى ذلك أسوة وإماماً للعالم كله ، كلمه وفد قريش  
وعرض عليه كل ما يغرى الشباب ويرضى  
الطامحين ، من رئاسة وشرف ومال عظيم وزواج  
كريم ، فرفض كل ذلك فى صرامة وصراحة ، وكلمه  
عمه وحاول أن يحد من نشاطه فى سبيل الدعوة  
فقال : «يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى  
والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى  
يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» ثم كان أسوة  
للناس فى عصره وبعد عصره بقيامه بأكبر قسط من  
الجهاد والإيثار ، والزهد وشظف العيش وأقل قسط  
من العيش وأسباب الحياة ، فقد أوصد على نفسه  
الأبواب وسد فى وجهه الطرق وتعدى ذلك إلى  
أسرته وأهل بيته والمتصلين به ، فكان أكثر الناس  
اتصالاً به وأقربهم إليه ، أقلهم حظاً فى الحياة ،  
وأعظمهم نصيباً فى الجهاد والإيثار ، فإذا أراد أن  
يحرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته وبيته ، وإذا سن حقاً أو  
فتح باباً لمنفعة قدم الآخرين وربما حرمه على  
عشيرته الأقربين . أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمه  
عباس بن عبد المطلب فوضعه كله ، وأراد أن يهدر  
دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد



المطلب فأبطله، وسن الزكاة وهي منفعة مالية عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بنى هاشم إلى آخر الأبد، وكلمه على بن أبى طالب يوم الفتح أن يجمع لبنى هاشم الحجابة مع السقاية فأبى، وطلب عثمان بن طلحة وناوله مفتاح الكعبة وقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء، وقال خذوها خالدة تالدة فيكم لا ينزعها منكم إلا ظالم، وحمل أزواجه على الزهد والقناعة وشظف العيش وخيرهن بين عشرتهن مع الفقر وضيق العيش، ومفارقتة مع السعة والرخاء وتلا عليهن قوله تعالى: **«يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً»** (١) فاخترن الله والرسول، وتأتيه فاطمة تشكو إليه ما تلقى فى يدها من الرحى وبلغها أنه جاءه دقيق، فيوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ويقول لها إنه خير لها من خادم.. وهكذا كان شأنه مع أهل بيته والمتصلين به فالأقرب ثم الأقرب.

وآمن به رجال من قريش فى مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً، وكسدت تجارتهم وحرّم بعضهم رأس ماله الذى جمعه فى

(١) سورة الأحزاب: ٢٨، ٢٩.

حياته ، وحرّم بعضهم أسباب الترف والرخاء وأناقة اللباس التي كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لأشغاله بالدعوة وانصراف الزبائن عنه وحرّم بعضهم نصيبه في ثروة أبيه .

ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة وتبعه الأنصار تأثرت بذلك بساتينهم ومزارعهم فلما أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها ، لم يسمح لهم بذلك وأنذرهم الله به فقال **«وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»** (١).

وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد وخسائر النفوس والأموال أعظم من نصيب أي أمة في العالم وقد خاطبهم الله بقوله : **«قل إن كان أبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين»** (٢) وقال : **«ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه»** (٣) لأن

(١) سورة البقرة : ١٩٥ .

(٢) سورة التوبة : ٢٤ .

(٣) سورة التوبة : ١٢٠ .

سعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدمونه من تضحية وإيثار وما يتحملونه من خسائر ونكبات فقال: **«ولنبلونكم بشئ، من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات»** (١) وقال: **«أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟»** (٢) وكان إحجام العرب عن هذه المكربة وترددهم في ذلك امتداداً لشقاء الإنسانية واستمراراً للأوضاع السيئة في العالم فقال: **«إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»** (٣).

وقد وقف العالم في القرن السادس المسيحي على مفترق الطرق إما أن يتقدم العرب ويعرضوا نفوسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يعز عليهم للخطر ويزهدوا في مطامع الدنيا ويضحوا في سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم وتستقيم البشرية وتقوم سوق الجنة وتروج بضاعة الإيمان، وإما أن يؤثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم الفردية على سعادة البشرية وصلاح العالم فيبقى العالم في حما الضلالة والشقاء إلى ما شاء الله، وقد أراد الله بالإنسانية خيراً وتشجع العرب - بما نفخ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم من روح الإيمان والإيثار وحبب إليهم الدار الآخرة

(١) سورة البقرة: ١٥٠.

(٢) سورة العنكبوت: ٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

وثوابها - فقدموا أنفسهم فداء للإنسانية كلها وزهدوا في مطامع الدنيا طمعاً في ثواب الله وسعادة النوع الإنساني وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وضحوا بكل ما يحرص عليه الناس من مطامع وشهوات وآمال وأحلام وأخلصوا لله العمل والجهاد فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين.

وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول، ووقف العالم على مفترق الطرق مرة ثانية، إما أن يتقدم العرب - وهم أمة الرسول وعشيرته - إلى الميدان ويغامروا بنفوسهم وإمكانياتهم ومطامحهم ويخاطروا بما هم فيه من رخاء وثراء ودنيا واسعة، وفرص متاحة للعيش وأسباب ميسورة، فينهض العالم من عثاره وتتبدل الأرض غير الأرض، وإما أن يستمروا فيما هم فيه من طمع وطموح، وتنافس في الوظائف والرواتب، وتفكر في كثرة الدخل والإيراد وزيادة غلة الأملاك وربح التجارات والحصول على أسباب الترف والتنعيم، فيبقى العالم في هذا المستتقع يتردى فيه منذ قرون.

إن العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم تدور حياتهم حول المادة والمعدة، لا يفكرون في غيرهما ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلهما، ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل



المبادئ التي اعتنقوها، أكبر منهم نفساً، وأوسع  
منهم فكراً، بل كان الشاعر الجاهلي «امرؤ القيس»  
أعلى منهم همة، إذ قال:

ولو أنني أسعى لأدبى معيشة

كفاني ونم أطلب قليلاً من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل

وقد يدرك المحمد المؤثّل أمثالي

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على  
قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم،  
إن الأرض لفي حاجة إلى سماد، وسماد أرض  
البشرية الذي تصلح به وتنتج زرع الإسلام الكريم هي  
الشهوات والمطامع الفردية التي يضحى بها  
الشباب العربي في سبيل علو الإسلام وبسط الأمن  
والسلام على العالم وانتقال الناس من الطريق  
المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة،  
إنه لثمن قليل جداً لسلعة غالية جداً.

### **العناية بالفروسية والحياة العسكرية**

من الحقائق المؤلمة أن الشعوب العربية قد فقدت  
كثيراً من خصائصها العسكرية، ورثت في  
فروسياتها التي كانت معروفة بها في العالم، فكانت  
رزية كبيرة وخسارة فادحة، وكانت سبباً من  
أسباب ضعفها وعجزها في ميدان الجهاد، فقد  
اضمحلت الروح العسكرية، وضعفت الأحكام ونشأ

الناس على التمتع، وقد حلت السيارات محل الجياد حتى كادت الخيل العربية تنقرض من الجزيرة العربية، وهجر الناس المصارعة والمناضلة وسباق الخيل وأنواع الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية، واستبدلوا بها ألعاباً لا تفيدهم شيئاً، فالمهم لرجال التعليم والتربية وقادة الشعوب العربية أن يربوا الشبيبة العربية على الفروسية والحياة العسكرية، وعلى البساطة في المعيشة وخشونة العيش والجلادة وتحمل المشاق والمتاعب، والصبر على المكروه!

وقد كتب المربي الكبير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى بعض عماله العرب وهم في بلاد العجم: «إياكم والتمتع وزي العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، وتمعددوا<sup>(١)</sup> واخشوشنوا<sup>(٢)</sup>، واخشوشبوا<sup>(٣)</sup> واخلولقوا<sup>(٤)</sup> وأعطوا الركب أسنتها وانزوا نزواً، وارموا الأغراض»<sup>(٥)</sup>.

- (١) تمعدد الغلام: شب وغلظ. وقبل معناه: تشبهوا بعيش معد بن عدنان، وكان ذا غلظ وتفشف.
- (٢) اخشوشن: تخشن في المطعم والملبس.
- (٣) اخشوشبوا: صار صلباً في أحواله وصبره على الجهد.
- (٤) تذلوا في الملابس.
- (٥) رواه النعوى عن أبي عثمان النهدي.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارموا بنى  
إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» (١) وقال: «ألا إن  
القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (٢).

ومن واجب رجال التربية وولاة الأمر أن يحاربوا  
بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة ويبعث على  
التخنث والعجز، من عادات وأدب وصحافة وتعليم،  
ويأخذوا على يد الصحافة الماجنة والأدب الخليع  
الملحد، الذي ينشر في الشباب النفاق والدعارة  
والفسوق، وعبادة اللذة والشهوات، ولا يسمحوا  
لهؤلاء التجار الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في  
الذين آمنوا أن يدخلوا في معسكر محمد صلى الله  
عليه وسلم الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، ويفسدوا  
على الناشئة الإسلامية قلبها وأخلاقها، ويزينوا لها  
الفسوق والعصيان، وحب الفحشاء، بثمن بخس  
دراهم معدودة، وقد شهد التاريخ بأن كل أمة أصيب  
رجالها في رجولتهم وغيرتهم، ونساؤهم في أنوثتهن  
وأمومتهن، وطفى فيهن التبرج، ومزاحمة الرجال في  
كل شيء، والزهد في الحياة المنزلية، وحبب إليهن  
العقم، أفل نجمها وكسفت شمسها، فأصبحت أثراً  
بعد عين.

هذه كانت عاقبة اليونان والرومان والفرس، وإن  
أوروبا لفي طريقها إلى هذه العاقبة، فليحذر العالم  
العربي من هذا المصير الهائل.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

## **محاربة التبذير والفرق الهائل بين الغنى والصلعوك :**

وقد اعتاد العرب لأسباب كثيرة وبتأثير الحضارة الغربية، حياة الترف والدعة والاعتداد الزائد بالكماليات وفضول الحياة والإسراف والتبذير والاستهانة بمال الله في سبيل اللذة والشهوة والفخر والزينة .

## **ايجاد الوعي فى الأمة :**

وإن أخوف ما يخاف على أمة ويعرضها لكل خطر ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين، هو فقدان الوعي فى هذه الأمة، وافتتانها بكل دعوة واندفاعها إلى كل موجة وخضوعها لكل متسلط وسكوتها على كل فظيعة وتحملها لكل ضيم، وألا تعقل الأمور ولا تضعها فى مواضعها ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والغاش، وأن تلدغ بجحر مرة بعد مرة ولا تتصحها الحوادث، ولا تروعها التجارب، ولا تنتفع بالكوارث، ولا تزال تولى قيادها من جربت عليه الغش والخديعة والخيانة والأثرة والأنانية والجبن والعجز، والخرق والطيش، وكان سبباً للهزيمة والذلة، ولا تزال تضع ثقتها فيه وتمكنه من نفسها وأموالها وأعراضها ومفاتيح ملكها، وتنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر والنكبات فيجترىء بذلك السياسيون المحترفون، والقادة الخائنون ويأمنون سخط الأمة ومحاسبتها ويتمادون



فى غيهم ويسترسلون فى خياناتهم وعبثهم، ثقة ببلاهة الأمة وسذاجة الشعب وفقدان الوعى .

إن الشعوب الإسلامية والبلاد العربية- مع الأسف- ضعيفة الوعى- إذا تخرجنا أن نقول: فاقدة الوعى- فهى لا تعرف صديقها من عدوها ولا تزال تعاملها معاملة سواء أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح، وقد يكون الصديق فى تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو، ولا تزال تلدغ بجحر واحد ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب، وهى ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضى الزعماء والقادة، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة، وهى ضعيفة فى الوعى الدينى والوعى الاجتماعى وأضعف فى الوعى السياسى، وذلك ماجر عليها ويلا عظيماً وشقاء كبيراً وسلط عليها القيادة الزائفة وفضحها فى كل معركة .

إن الأمم الأوربية -برغم إفلاسها فى الروح والأخلاق وبرغم عيوبها الكثيرة- قوية الوعى- الوعى المدنى والسياسى- وقد بلغت سن الرشد فى السياسة، وأصبحت تعرف نفعها من ضررها، وتميز الناصح والخادع، وبين المخلص والمنافق، وبين الكفاء والعاجز، فلا تولى قيادها إلا الأكفاء الأقوياء الأمناء، ثم لا توليهم أمورها إلا على حذر، فإذا رأت منهم عجزاً أو خيانة أو رأت أنهم مثلوا دورهم وانتهوا من أمرهم، استغنت عنهم وأبدلت بهم رجالاً أقوى

منهم وأعظم كفاءة وأجدر بالموقف، ولم يمنعها من إقالتهم أو إقصائهم من الحكم ماضيهم الرائع وأعمالهم الجليلة وامتصاتهم في حرب، أو نجاحهم في قضية، وبذلك أمنت السياسيين المحترفين، والقيادة الضعيفة أو الخائنة، وخوف ذلك الزعماء، ورجال الحكم وكانوا حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة وعقابها وبطش الرأي العام.

فمن أعظم ما تخدم به هذه الأمة وتؤمن من المهازل والمآسى التي لا تكاد تنتهى، هو إيجاد الوعي فى طبقاتها ودهمائها وتربية الجماهير التربوية العقلية والمدنية والسياسية، ولا يخفى أن الوعي عبر إفشاء التعليم وزوال الأمية، وإن كانت هذه الأخيرة من أنجح وسائلها، وليعرف الزعماء السياسيون والقيادة أن الأمة التي يعوزها الوعي غير جديرة بالثقة، ولا تبعث حالتها على الارتياح وإن أطرت الزعامة والرعماء وقدستهم، فإنها- ما دامت ضعيفة الوعي- عرضة لكل دعاية وتهريج وسخرية كريشة فى فلاة تلعب بها الرياح ولا تستقر فى مكان.

### **استقلال البلاد العربية فى تجارتها وماليتها :**

وكذلك لابد للعالم العربى- كالعالم الإسلامى- من الاستقلال فى تجارتها وماليتها وصناعاته وتعليمه، لا تلبس شعوبه وجماهيره إلا ما تنبته أرضه وتنسجه

يده ، وتستغنى عن الغرب فى جميع شئون حياتها ، وفى كل ما تحتاج إليه ، من كسوة ، وطعام ، وبضائع ، ومصنوعات ، وأسلحة وجهاز حربى ، وآلات وماكينات ، وأدوية فلا تكون كلا على الغرب وعيالا عليه فى معيشتها ومتطفلة على مائدته .

إن العالم العربى لا يستطيع أن يحارب الغرب- إذا احتاج إلى ذلك ودعت إليه الظروف-وهو مدين له فى ماله ، وعيال عليه فى لباسه وبضائعه ، لا يجد قلماً يوقع به على ميثاق مع الغرب إلا القلم الذى صنع فى الغرب ، ولا يجد ما يقاتل به الغرب ، إلا الرصاص الذى أفرغ فى الغرب ، إنه عار على الأمة العربية أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها وقوتها ، وأن يجرى ماء الحياة فى عروقها وشرابينها إلى أجسام غيرها ، وأن يدرّب جيوشها وكلاء الغرب وضباطه ، ويدير بعض مصالح حكوماتها رجاله ، فلا بد للعالم العربى أن يقوم هو نفسه بحاجاته : تنظيم التجارة والمالية ، وحركة التوريد والتصدير ، والصناعة الوطنية ، وتدريب الجيش ، وصنع الآلات والماكينات وتربية الرجال الذين يضطلعون بجميع مهمات الدولة ووظائف الحكومة فى خبرة ومهارة فنية ، وأمانة ، ونصيحة .

### **رجاء العالم الإسلامى فى العالم العربى :**

والعالم العربى بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافى وأهميته السياسية ، يحسن الاضطلاع

برسالة الإسلام، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي، ويزاحم أوروبا بعد الاستعداد الكامل، وينتصر عليها بإيمانه وقوة رسالته ونصر من الله، ويحول العالم من الشر إلى الخير، ومن النار والدمار إلى الهدوء والسلام.

### إلى قمة القيادة العالمية :

ما أعظم التطور الذي حدث في تاريخ العرب على أثر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونادت به سورة الإسراء وقصة المعراج في لغة صريحة بليغة وفي أسلوب مبين مشرق (١)، وما أعظم النعمة التي أسبغها الله على العرب، نقلهم من جزيرتهم التي يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذي يقودونه بناصيته، ومن الحياة القبلية المحدودة التي ضاقوا بها، إلى الإنسانية الواسعة التي يشرفون عليها ويوجهونها، وأصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذي فاجأ العرب وفاجأ العالم، يقولون بكل وضوح وشجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة وأركان دولته: «الله ابتعثنا ليخرج لنا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»

---

(١) تضم سورة الإسراء قصة المعراج إعلانات بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبي القبلتين وإمام المشرقين والمغربين ووارث الأنبياء قبله وإمام الأجيال بعده.



نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولاً إلى سعتها ثم  
أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها أخيراً، وهل  
أضيق من الحياة القبلية والجنسية، وأوسع من الحياة  
الإنسانية الواسعة الآفاق؟ وهل أضيق من الحياة التي  
لا يفكر فيها إلا في المادة الزائلة والحياة الفانية ولا  
يجاهد إلا في سبيلها، من الحياة الإيمانية الروحانية  
التي لا نهاية لها ولا تحديد؟!

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب، ومن ضيق  
الحياة فيها، ومن ضيق التفكير في مسائلها  
ومصالحها، ومن ضيق التناحر على سيادتها، ومن  
ضيق التكالب على حطامها القليل وملكها الضئيل  
وعيشها الذليل، إلى عالم جديد من السيادة  
الروحية والخلقية والعلمية والسياسية، ليس  
الدانوب الفاض والنيل السعيد والفرات العذب  
والسند الطويل، إلا سواقي حقيرة وترعاً صغيرة  
فيه، وليست جبال الألب والبرانس وعقاب لبنان  
وقمم همالايا، إلا تلالاً متواضعة وسدوداً صغيرة،  
وليست البلاد الواسعة كالهند والصين وتركستان، إلا  
أحياء ضيقة وحارات صغيرة، ونقطاً مغمورة في هذا  
العالم، وليست هذه الأرض كلها - إذا نظر إليها من  
ارتقى إلى قمة هذه السيادة - إلا خريطة صغيرة  
ملونة يراها الطائر المحلق في السماء، وليست  
الأمم الكبيرة - مع ثقافتها وحضاراتها وأدبها - إلا  
أسراً صغيرة في أمة كبيرة.

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة، والإيمان العميق والصلة الروحية القوية، وكان أوسع عالم عرفه التاريخ، وكانت الشعوب التي تكون هذا العالم، أقوى أسرة عرفها التاريخ، تنصهر فيها الثقافات المختلفة، والعقريات المتنوعة، فتكون منها ثقافة واحدة هي الثقافة الإسلامية، التي لم تزل في نوابع الإسلام الذين لا يحصيهم عدد، وفي المآثر الإسلامية- بين علمية وعملية- التي لا يستقصيها التاريخ.

لقد كانت- ولا تزال- قيادة هذا العالم بجدارة واستحقاق، أشرف قيادة وأعظمها وأقواها في تاريخ الزعامة والقيادة، وقد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الإسلامية وتفانوا في سبيلها، فأحبهم الناس في العالم حباً لم يعرف له نظير، وقلدوهم في كل شيء تقليداً لم يعرف له نظير، وخضعت للغتهم اللغات، ولثقافتهم الثقافات، ولحضارتهم الحضارات، فكانت لغتهم هي لغة العلم والتأليف في العالم المتمدن من أقصاه إلى أقصاه، وهي اللغة المقدسة الحبيبة التي يؤثرها الناس على لغاتهم التي نشأوا عليها، ويؤلفون فيها أعظم وأحب مؤلفاتهم، ويتقنونها كأبنائها وأحسن، وينبغ فيها أدباء ومؤلفون يخضع لهم المثقفون في العالم العربي، ويقر بفضلهم وإمامتهم أدباء العرب ونقادهم.

وكانت حضاراتهم هي الحضارة المثلى التي يتمجد الناس ويتظرفون بتقليدها، ويحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى ويطلقون على كل ما يخالفها من الحضارات-«اسم الجاهلية» و «العجمية» وينهون عن اتخاذ شعائرها ومظاهرها.

وبقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون في ثورة عليها، وفي التخلص منها كما هي عادة المفتوحين والأمم المغلوبة على أمرها في كل عهد، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر، إنما هي صلة المتدين بالمتدين، وصلة المؤمن بالمؤمن، وعلى الأكثر إنما هي صلة التابع بالمتبوع الذي سبقه بمعرفة الحق والإيمان بالدعوة والتفاني في سبيلها، فلا محل للثورة. ولا محل للتذمر، ولا محل لنكران الجميل، إنما اللائق أن يعترفوا لهم بالفضل، وتلهج ألسنتهم بالشكر والدعاء، وأن يقولوا: **«ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم»** (١).

وهكذا كان، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر

---

(١) سورة الحشر: ١٠.

العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية ، والداعى إلى دار السلام ، والقائد إلى الجنة ، والمعلم والأستاذ فى الأدب .

هذه هى القيادة العالمية التى هياتها البعثة المحمدية ، وأعلنتها سورة الإسراء ، وهى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ ، ويسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب ويتواصى بها الآباء والأبناء ، ولا يجوز لهم- فى شريعة العقل والدين والغيرة- أن يتخلوا عنها فى زمن من الأزمان ، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة ، وليس فى غيرها عوض عنها وكفاية ، وهى القيادة التى تشمل جميع أنواع القيادة والسيادة ، وهى تسيطر على القلوب والأرواح ، أكثر من سيطرتها على الأجسام والأشباح .

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة مسورة للعرب ، وهى الطريق التى جربوها فى عهدهم الأول «الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتبنيها والتفانى فى سبيلها وتفضيل منهج الحياة الإسلامى على جميع مناهج الحياة» .

وبذلك- من غير قصد وإرادة لنيل هذه القيادة وتبوتها- تخضع لهم الأمم الإسلامية فى أنحاء العالم ، وتتهالك على حبهم وإجلالهم وتقليدهم ، وبذلك تنفتح لهم أبواب جديدة وميادين جديدة فى



مشارك الأرض ومغاربها ، استعصت على غزاة الغرب  
ومستعمريه وثارت عليه ، وتدخل أمم جديدة فى  
الإسلام ، أمم فتية فى مواهبها وقواها وذخائرها ، أمم  
تستطيع أن تعارض أوربا فى مدنيها وعلومها إذا  
وجدت إيماناً جديداً ، وديناً جديداً ، وروحاً جديدة  
ورسالة جديدة .

## خاتمة

من المعروف أن ما يسمى بأزمة الخليج ، أو غزو العراق للكويت كان كارثة عربية وإسلامية ، وكان أمراً لا معنى له ، إلا أن يكون مؤامرة دولية طاحنة تريد تبديد طاقة المسلمين وصرقهم عن رسالتهم وتمزيق صفوفهم أشد مما كانت ، وتحقيق الأهداف الصهيونية والصليبية العالمية .

وقد تولى صدام حسين وحزب البعث كبر هذه الخيانة ، وهو أمر ليس غريباً عليه ، فهو بطبيعته حزب ضالع في الخيانة للإسلام والأمة العربية ، وصلته بالصليبية والصهيونية صلة حميمة ... وقد كان دوماً ابناً مطيعاً لها . وقد وقف سماحة الأستاذ / أبو الحسن الندوي دائماً في وجه مطامع هذا الحزب ومخططاته الإجرامية ضد الأمة الإسلامية والعربية ، وضد الإسلام بصفة خاصة !! . ولقد أباد نظام البعث كل شعب حكمه ، وجعل أبناءه يعيشون في رعب وخوف ، وتكاد المساجد في البلاد التي تبثلى بهذا الحزب أن تكون خراباً ولا يدخلها إلا الشيوخ والعجزة ، وهم يصادرون كل المجلات والكتب الإسلامية ، ويؤلّهون - أو يكادون - زعماء الحزب ومنظريه من النصارى واليهود !! .

فضلاً عن المحسوبين زوراً على الإسلام والمسلمين ، وبعضهم أنكى علينا من اليهود والنصارى !! .

وقد كشفت أزمة الخليج عن هوان هذه الأمة ، وعدم استقامة موازين العدل بين مثقفيها ، فضلاً عن عامتها ..

فلقد انقسمت على نفسها انقساماً تبدو معه وكأنها بلا ثوابت ولا موازين جعلها الله بها شاهدة على الناس !! .  
ولقد كانت شعوب تتجه إلى إيدانة الغازي المحتل المأجور،  
وشعوب أخرى تتذرع بالتدخل الأجنبي الذي لم يسعد به  
أحد ، ولم يكن أحد راغباً فيه ، وتدين الذين احتلت  
أراضيهم ، وتتقف ضد غيرهم من المتوجسين من لؤم حزب  
البعث العراقي وغدره .. بل إن هؤلاء الأخيرين كانوا واعين  
بأن سلوك صدام حسين وحزب البعث الإجرامى هو أقوى  
أسباب ومبررات التدخل الأجنبي ، وقد بذلوا كل جهد  
للحيلولة دون ذلك .. لأن للأجانب مصالحهم التي تقوم  
فلسفتهم على حمايتها وحدها .. بعيداً عن أية شعارات  
أخرى كاذبة !!

لكن صدام حسين وحزب البعث - بضغوط  
خارجية - رفضوا كل المحاولات ، وقدموا كل الفرص  
الذهبية لأعداء الإسلام حتى يبيدوا الشعب العراقي  
المسكين، ويقضوا على كل بوادر نهضته العسكرية التي  
كانت عوضه الوحيد عن كل الهوان والذل الذي يعيشه  
فى ظل حزب البعث !!

وقد حاولت المملكة العربية السعودية بقيادة خادم  
الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أن تتصل  
بصدام حسين وتطلعه على عواقب الأمور ، لكن  
غطرسته البغيضة ، وخضوعه الكامل للضغوط  
الخارجية ، جعلتاها يرفض أى تفاهم ويشكل حكومة

للكويت ويجعلها مقاطعة عراقية ويرفض الحديث في مبدأ الانسحاب !!

وقد وجه الرئيس محمد حسنى مبارك ستة وعشرين نداءً له يرجوه فيها أن ينسحب، ويحاول تبصرته - من وجهة نظر عسكرية بحتة - بالعواقب المنتظرة ... ولكن صداما البعثى - التلميذ الوفى لميشيل عفلق ، والموجه فى سياسته الخارجية من وزير خارجيته ( طارق عزيز حنا) - أبى واستكبر وغلبته عوامل العزة الأثمة ، والخضوع - من جانب آخر - لضغوط المؤامرة المحبوكة ضد العرب والمسلمين .. والخليج بالدرجة الأولى !!

لقد كانت المملكة العربية السعودية واعية بأبعاد المؤامرة الخبيثة ، وكانت تعرف ماذا سيصيب الشعب العراقى ، فضلاً عن الكويت ، وكانت تسعى إلى إيجاد وقفة واحدة تقول للظالم - بقوة - ( يا ظالم اخرج من الكويت ، ولا تعط الفرصة الذهبية للأطماع الصليبية والصهيونية ) .. ولقد قبلت كل حوار يدور حول ( ثوابت العدل الإسلامى ) .. ولكن المسلمين - حكاماً وشعوباً - عجزوا عن رفع راية العدل ، وخلطوا بين الأسباب والنتائج، وتصور بعضهم - بسذاجة شديدة - أن بإمكان دول الخليج والسعودية أن تعلن حرباً عالمية ضد دول الغرب وأمريكا القادمة لحماية مصالحها المرتبطة ارتباطاً عضوياً بالبتروول ... فى الوقت الذى تعلن فيه



حرباً أخرى ضد عدوً بعثى صليبي كفور يقف على  
أبواب المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية بعد أن  
عبر الكويت بجيش يكفى الاحتلال عشرين نولة مثل  
الكويت !!

بل تصور بعضهم - بسذاجة أكثر - أن الدول  
الأوربية وأمريكا يمكن أن توجه إليها بعض الأوامر من  
خلال عدد من خطابات وزراء الخارجية ... فتبتعد تماماً  
عن المنطقة مضحية بصناعاتها ومواصلاتها .. تاركة  
مدنيتها المادية فى مهب الريح ، وهى التى تقاتل من  
أجل مغانم متوهمة أو حرصاً على مصالح يخشى أن  
تضيع !!

إنها - بحق - سذاجة كبيرة .. وإنها تصورات بعيدة  
كل البعد عن الإدراك لواقع الأمور .. علماً بأن الأوامر  
كانت جاهزة لجعل صدام حسين يبادر فوراً بإرسال  
أطنان من ( النابالم ) على مدن الخليج، تماماً مثلما  
سمحت له بإرسالها على ( حلبجة ) وغيرها من المدن  
الإيرانية والعراقية الأخرى !!

إن تحليل الأمور - وفق مقاييس ثابتة موضوعية -  
كان أبرز ما دعت إليه دول الخليج المبتلاة بهذا الجار  
البعثى الجحود ، وقد وقفت المملكة العربية السعودية  
ثابتة - منذ بداية أزمة الخليج وحتى اليوم - ومع كل  
التداعيات والنتائج التى أبرزتها أزمة الخليج !!

وللأسف الشديد ، فقد كشفت أزمة الخليج  
وتداعياتها عن عورات هذا العالم العربى فى غيبة  
شريعته الحاكمة... إنه يتحرك بالأهواء والعواطف  
والمصالح العابرة والوقتية !! وإن الأهواء هى الغالبة على  
كثير من طبقاته المثقفة وغير المثقفة.. والمحسوبة على  
شتى الاتجاهات !!

ومازال افتقادنا إلى المقاييس الإسلامية الثابتة  
والرؤية الموضوعية العصرية من أكبر التحديات التى  
تواجهنا وتجعلنا نبدد طاقاتنا ، ونبعثر قوانا .. والحق أن  
سماحة الشيخ العلامة أبى الحسن الندوى - كبير  
علماء الهند ورئيس ندوة العلماء ودار العلوم بلكنهؤ  
والداعية والمفكر الإسلامى الكبير، ومؤلف كتاب  
« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » - كان موفقاً  
دائماً فى إدراكه لطبيعة حزب البعث وأهدافه  
ومخططاته، وقد رفض مع الإلحاح الشديد - الاستجابة  
لدعواته ، وعندما احتلت قوات البعث العراقى الكويت  
اعتبر ذلك سماحته نكبة من النكبات الكبرى للعالم  
الإسلامى إدراكاً منه لحقيقة الأمور وتداعياتها  
ونتائجها، ووقف بكل قوته مع المملكة العربية السعودية  
ودول الخليج - عن إيمان واقتناع واحتساب - ودعا إلى  
خروج العراق من الكويت .. حتى يقف المسلمون  
والعرب يداً واحدة ضد أى طامع أجنبى...!!  
وكان هذا هو التدرج الطبيعى الذى تمليه مسلمات

المنطق وطبائع الأمور ، فضلاً عن عدل الإسلام !!  
فجزى الله سماحة الشيخ الندوى كل خير وأطال  
عمره ... وحمى الأمة الإسلامية من أعدائها المنافقين  
فى الداخل والكافرين فى الخارج ...

**« ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون  
لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن  
أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً  
أبداً وإن قوتلتهم لننصركم والله يشهد  
إنهم لكاذبون » [ الحشر : ١١ ]**

أجل : إنهم إخوانهم .. وإن كانوا إخواناً فى الشرِّ  
وفى المصلحة ... وكلهم فى النهاية كاذبون ، وهم - كما  
قال الله فى القرآن - : « قوم لا يفقهون » .

صدق الله العظيم

## الفهرس

### القسم الأول

٥	مقدمة .....
١٣	تقديم .....
٢١	الخطر الأكبر على العالم العربي .....
٢٣	حكمة الله في اختيار العرب لحمل الرسالة .....
٢٦	شروع التصور العربي للقومية .....
٢٨	القومية العربية مؤامرة دقيقة للمسيحيين في الشرق الأوسط ...
٢٩	صلة صدام حسين بحركة القومية .....
٣٢	لماذا نعارض القومية العربية وما هي بواعث هذه المعارضة؟ ....
٣٦	المؤامرات لقطع صلة العرب بالإسلام عبر التاريخ وخبيتها .....

### القسم الثاني

٤٩	كيف يستعيد العرب مكانتهم اللانقة بهم وكيف يحافظون عليها؟ .
٥١	أهمية العالم العربي .....
٥١	محمد رسول الله روح العالم العربي .....
٥٤	الإيمان هو قوة العالم العربي .....
٥٥	تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية .....
٦٢	العناية بالفروسية والحياة العسكرية .....
٦٥	محاربة التبذير والفرق الهائل بين الغنى والصلوك .....
٦٥	إيجاد الوعي في الأمة .....
٦٧	استقلال البلاد العربية في تجارتها وماليتها .....
٦٨	رجاء العالم الإسلامي في العالم العربي .....
٦٩	إلى قمة القيادة العالمية .....
٧٥	خاتمة



رقم الإيداع: ١٩٢٤ / ١٩٩٤ م

I.S.B.N : 977 - 255 - 081 - 4

المنصورة

شركة الكتاب

٢٢٠٠٠

DWI

سطاريا

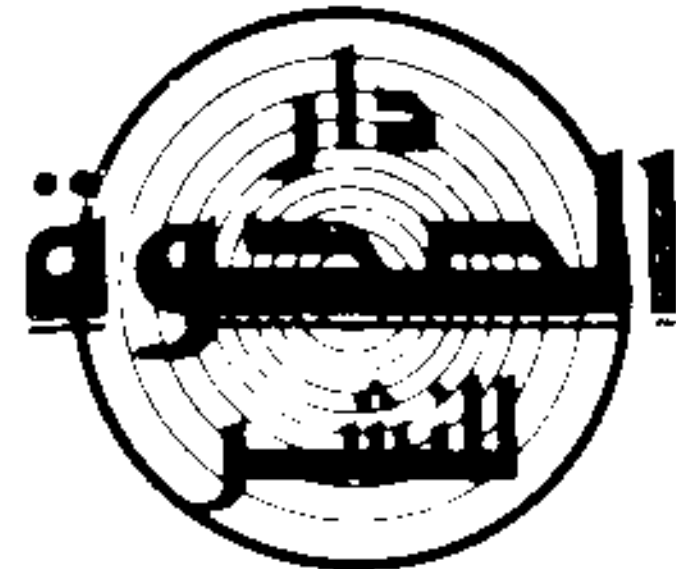
شركة النشر

## هذا الكتاب

- \* العالم العربى له أهمية كبرى فى خريطة العالم السياسية ، وذلك لأنه وطن أم لعبت أكبر دور فى التاريخ الإنسانى ، ولما ينعم به من ثروات متعددة ومكانة مرموقة وسط العالم .
- \* وهذه المكانة التى يمتاز بها العالم العربى جعلته محط أنظار الغربيين وملتقى مطامعهم ، ولذا أخذوا يخططون لتمزيق الصف العربى الإسلامى حتى يتثنى لهم التهام هذه الثروات .
- \* كما أن الوضع السائد اليوم يدل على أن الصليبيين واليهود والصهيونيين غيروا استراتيجيتهم فى ضوء تجاربهم الماضية ، فبدلاً من فتح الدول العربية عنوة بصورة مباشرة اتخذوا استراتيجية تسخير دعاة القومية العربية للعب هذا الدور تمهيداً لالتهامه والاستيلاء على ثرواته ، وما أمر صدام حسين واحتلاله للكويت عنا ببعيد ، كنموذج لهذه الاستراتيجية .
- \* وهذا الكتاب يعرض لهذا الخطر الذى يواجهه العالم العربى ، مبيناً أبعاده وأهدافه ووسائله ، وفى المقابل يوضح كيفية مواجهة هذا الخطر ، ويرسم الطريق لكيفية استعادة العرب لمكانتهم كخير أمة أخرجت للناس .
- \* ودار الصحوة يسرها أن تقدم هذا الكتاب لقرائها الكرام ، وعلى الله قصد السبيل .

الناشر

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة



الإدارة: ٧ ش السراى - أول المنيل ت. فاكس: ٩٨٧٩٢٤

الفرع: حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١